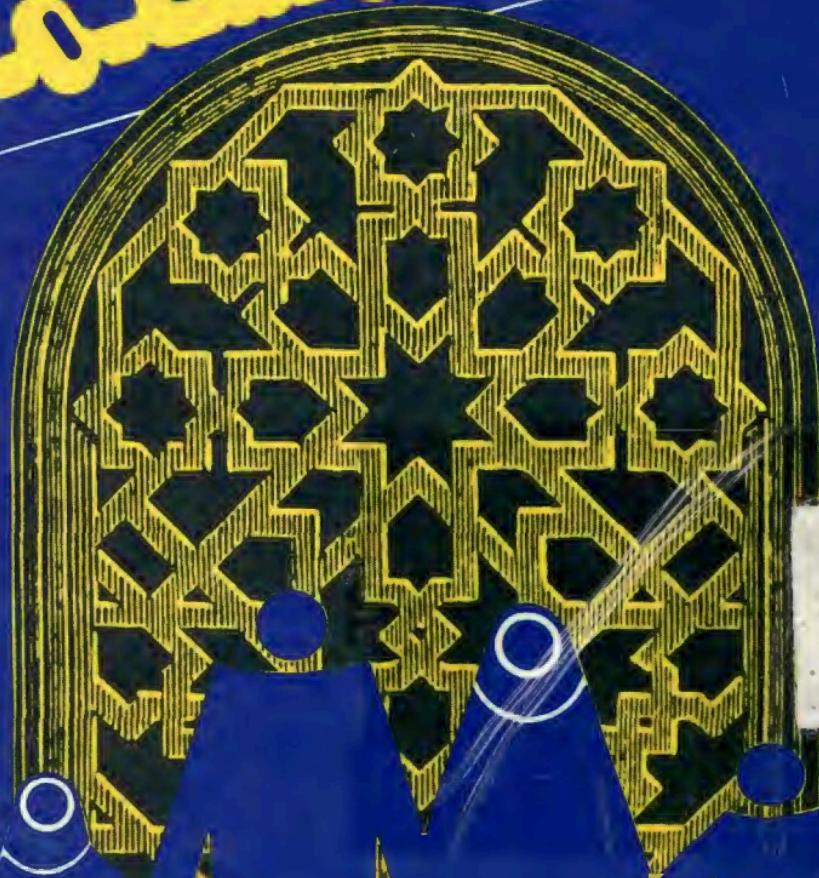


الإسراء والمساء



الإسراء والمساء





الأُسرَةُ الْمُسْلِمَةُ



اسم الكتاب: الأسرة المسلمة.

المؤلف: لجنة التأليف.

اصدار: مؤسسة البلاغ.

الطبعة: الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

المطبعة: خوانديها

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الترجمة جائزة للجميع بعد عرضها على المؤسسة.

الجمهورية الإسلامية في إيران . ص . ب : ١٩٣٩٥ / ١٩٧٧

P.O. BOX: 1977/ 19395. ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

لَا سَرَّةُ الْمُسْلِمَةَ

ميثاق الزواج الإسلامي

(إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ فَلْيَقُلْ:)
أَقْرَرْتُ بِالمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ:
إِمساكٌ بِعُرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيعٌ بِإِحْسَانٍ).

(الإمام الصادق) ^(ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كُلْمَةُ الْمُؤْسِسَةِ

الحمد لله الذي خلق فسوى، و الذي قدر فهدى، و الصلاة و السلام على من أرسله الله تعالى رحمة للورى، اللهم صل على عليه وعلى العترة الطاهرة من أهل بيته، و الأبرار الآخيار من صحابته.

خلال فترة طويلة من عهود الضياع و القهر و الاذلال، لم يدع أعداء الاسلام المعذين، سهما في جعبتهم إلا رموا به الشريعة الغراء، إضعافاً لتمسك أبناء الاسلام بدينهم، و تمهيداً لتس溟 عقولهم بالفکر الجاهلي المادي الحديث.

و مع كل تلك المساعي المحمومة المبرجعة، و الجهود الكيدية المنسقة، و الأساليب العدوانية الدقيقة المدamaة، يقف اليوم مارد الفكر الاسلامي العظيم ليركل بقدميه حصاد الحضارة المادية، الشرقية و الغربية، و ينقض على الفكر الجاهلي المعاصر فيدمجه فإذا هو زاهق. فشباب محمد(ص) بخاصة، و أمة الاسلام بعامة، بعد أن كفروا بطاغوت المبادئ الوضعية و آمنوا بكل القيم الاسلامية، يتأنبون بكل قواهم لا لاقتلاع جذور الاستراتيجية السياسية و العسكرية و

الاقتصادية لمصالح الكفار المع狄ن على بلادنا فحسب، بل و لرفع راية (لا اله الا الله محمد رسول الله) فوق كل بلد من بلدانهم الممزقة، استعداداً لتوحيدها، و توثبا لحمل الدعوة الاسلامية الى العالم. و «(المرأة)» كانت هدفاً من أهداف الخداع الاستعماري، و الميوعة الماجنة، و الاقلام المسمومة، التي ظهرت بتوقيت و تشجيع من الدوائر و الاوكار التجسسية التخريبية في بلدانا الاسلامية، من أجل هدم اسرتنا المؤمنة و مجتمعنا الفاضل.

أما اليوم فإن المرأة المسلمة تقف جنباً الى جنب الرجل المسلم، ترفض التحلل و الجهل، و تستنكر الخلاعة والتضليل، و تشجب الانهيارات الخلقية، و تحمل بين جنبيها عطر الامان، و طهر العفاف، و ترتاد كل ميادين الشرف و المعرفة، و تقتتحم كل ساحات العمل الاهداف، من أجل إستئناف الحياة الحرة السعيدة في ظل رسالة الاسلام العظيم.

و المؤسسة اذ تهدي بحث «(الاسرة المسلمة)» الى أعزائنا المشتركين، لترجمون من العلي القدير أن يجعل كيد الكافرين في تضليل، و أن يمدنا بسداد منه و رشاد، حتى يسود الاسلام و يعم السلام.

مؤسسة البلاغ

المرأة في ظل الحضارات غيرالاسلامية

محنة الانسان، و سرماناته في ظل الحضارات المادية الحديثة، تكمن في تلك الازمة الفكرية والضياع العقائدي، و ارتباك المفاهيم و الأفكار التي تميل عليه المواقف، و تحدد نظرته الى الأشياء من حوله، و ترسم علاقاته و روابطه الانسانية مع أبناء نوعه ...

فيكون الباحث و المحلل أن يلقى نظرة عابرة على طبيعة و ظاهر الاضطرار الاجتماعية و الاقتصادية، و الامنية و النفسية التي يعانيها انسان الحضارة المادية الجاهلية المعاصرة، ليكتشف من خلال هذه المعاناة عقدة الحضارة و صورة المأساة المرءة، من الظلم و الكبت و الضياع و الحرمان... الخ.

و اذا ما حاول المرء إرجاع هذه الظواهر الاجتماعية و النفسية و الفكرية الى اصولها التاريخية، سيجدها حلقة وثيقة الارتباط بسلسلة التاريخ الجاهلي على هذه الأرض، و صورة تجمعت خطوطها عبر أبعاد العصور الجاهلية السحيقة في فراغ الزمن المعاصر، لتشكل أضخم حجم حضاري، لتخبط الانسان و ضياعه الفكري و النفسي ، و لترسم صورة

ذلك الانسان المشوه الذي تلوثت فطرته، و انحرفت حياته عن قانون الطبيعة البشرية، و خط الاستقامة و الحيز الذي يقود الانسان الى صنع الحياة، في ظل قيم و مفاهيم إنسانية، يشكل في ظلها إنسانيته الرفيعة، و يعبر من خلاها عن هويته و ذاته الفطرية السليمة...

و من تلك المفاهيم و القيم، و العلاقات المشوهة المنحدرة من أعمق التاريخ الجاهلي للانسان، و المنصبة في إطار الحضارة المادية الحديثة؛ هو مفهوم هذه الحضارة عن المرأة، و الجنس، و الأسرة، و علاقة الرجل بالمرأة... الخ.

فتاريخ هذه المفاهيم و القيم و العلاقات، يحدثنا عن صورة مأساوية، و طبيعة وحشية أساءت لقانون الحياة، و حادت عن نظام الطبيعة و الفطرة البشرية... و وضعت المرأة في مواضع لا تناسب و وضعها الانساني في بيئة الحياة، فاضطربت نتيجة لهذا الفهم و الوضع موازنة الحياة الاجتماعية، و اختلت معادلة العلاقة الإنسانية بين الرجل و المرأة... و صارت المرأة تعاني من شقاء المجتمع و سوء معاملة الرجل، و وحشية القوانين، أشد المعاناة بدءاً بأقدم العصور و انتهاءً بالحضارة المادية الحديثة، فكل تلك الحضارات و القوانين – الاماندر – تعتبر المرأة سلعة من سلع الحياة، و أداة من أدوات المتعة، و أسيرة لا تملك من أمرها شيئاً، و مخلوقاً لا يتمتع بالخصائص الإنسانية التي يتمتع بها الرجل، بل اعتبرت المرأة مصدراً للشرور في هذا العالم، و سبباً

للحطيئة، ورجسا يجحب التطهر منه... .

وحتى في الشعوب التي اعتبر أهلها أصحاب مدنية وحضارة كاليونان والرومان فان المرأة كانت محرومة من حقوقها المدنية، و خاضعة لتصرف الأب والزوج، خضوع العبيد والأسرى، كما هو حالها في ظل الفاهم اليهودية المحرفة، التي اعتبرت المرأة سببا للخطيئة والاشم، انطلاقا من الاسطورة اليهودية القائلة بأن المرأة هي السبب في خطيئة آدم واغواهه واخراجه من الجنة، فقد نصت التوراة — توراة اليهود المحرفة —: (المرأة أمرت من الموت، وان الصالح أمام الله ينجو منها، رجلا واحدا بين ألف وجذت، أما امرأة فيبين كل أولئك لم أجده...) ^(١).

واعتبرت المرأة في ظل هذا الفهم اليهودي المحرف لشريعة موسى الاليمية... اعتبرت متاعا يورث وسلعة تباع.

فقد جاء في الاصحاح الثاني والاربعين من سفر أيوب — ع —: (لم توجد نساء جهيلات كنساء أيوب في كل الأرض، وأعطاهن أبوهن ميراثا بين اخوتهن ...) ^(٢).

وتحكم هذه الشريعة: (اذا توفي شخص بدون أن ينجب أولادا ذكورا تصبح أرملته — وهي المسماة عند اليهود «باباما») — زوجة

١ — الدكتور مصطفى السباعي — المرأة بين الشريعة والقانون — ص ١٩ ط ٤.

٢ — المصدر نفسه ص ١٩.

تلقائية لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه — ويسمي عند اليهود «يابام» رضيت بذلك أم كرهت، وتحب عليه نفتها ويرثها إذا ماتت، وأول ولد ذكر يحيى من هذا الزواج يحمل اسم زوجها الأول، ويختلفه في تركته ووظائفه، وينسب إليه لا إلى زوجها الحالي فيخلد بذلك اسم زوجها الأول، ولا يمحى من سجل إسرائيل، ولا يجوز «للياباماه» أن تتزوج من غير «البابام» إلا إذا خلصها بطريقة تسمى في شريعتهم «الحاليلصاه» ويتم هذا الخلاص في طقوس غريبة ينص عليها سفر الثنوية اذ يقول: إذا لم يرغب هذا الأخ في الزواج بأمرلة أخيه، فإنه يجب عليها أن تشخص إلى مجلس شيخوخ بنى إسرائيل، وتذكر لهم أن أخاً زوجها قد عزف عن تخليد اسم أخيه في سجل إسرائيل، فلم يرغب في الزواج بها، وحينئذ يستدعى أعضاء هذا المجلس ويحضرون على العدول عن رأيه، والزواج من امرأة أخيه، فإذا لم يذعن لرأيهم، وظل متشبها برأيه، تقدمت إليه امرأة أخيه، وخلعت نعليه، وبصقت في وجهه قائلة: هكذا يجب معاملة من لا يعمر منزل أخيه وسيطلق على منزله اسم «منزل الحافي» من لاعل له).

وقد أقرت ذلك المادة — ٣٦ — من كتاب الأحكام الشرعية في الاحوال الشخصية للاسرائيليين في مصر (إذ تقرر أن المتوفى عنها زوجها إذا لم يترك أولادا ذكورا، وكان له شقيق أو أخ لأب، اعتبرت زوجة له شرعا، ولا تخل لغيره مدام حيا إلا إذا تبرأ منها).

بل أنها — أي شريعة حكماء اليهود — لتبيح للوالد المعاشر أن يبيع ابنته بيع الرقيق لقاء ثمن يفرج به أزمته...).

وأكثر من ذلك فان هذه الشريعة المنحرفة اعتبرت البنت سلعة تُباع و تُشتري.

أما حالة المرأة في الجاهلية العربية قبل الاسلام فهي صورة أخرى من صور المأساة المريدة التي عايشتها المرأة... فكانت العرب تعتبر المرأة مسوقة و تكره وجودها، و تخاف العار و تبعات السبي... و يتمنى العربي وقتها لوم تولد له اُنثى، ولم ير وجهها، وقد بلغ الحقد و الكراهة كل مدى في نفوس هذا الصنف من الرجال القساة، الى درجة راح معها بعض الآباء يدفن ابنته حية بعد الولادة، أو عندما تصير صبية تدرج و تلعب...

ونتيجة لهذا المنطق و التصور كانت المرأة سلعة و متعة في مفهوم ذلك المجتمع الجاهلي، الى درجة كان ابن يتزوج زوجات أبيه، وقد سجل القرآن الكريم هذه الصورة الاجتماعية البشعة بجاهلية العرب، مستنكرا كل أوضاعها و تصوراتها و مواقفها من المرأة، قال الله تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ الْأَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ». (النحل — ٥٨ — ٥٩)

٣ — الدكتور علي عبدالواحد واifi — المرأة في الإسلام — ص ١٥ — ١٦

«وَإِذَا الْمَؤْدُودَةُ سُلِّطَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِّلَتْ».

(التكوير - ٨ - ٩)

«وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النَّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَقَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَفْتَأً وَسَاءَ سَبِيلًا».

(النساء - ٢٢)

أما المفاهيم الكنسية فقد بنت أفكارها على حطام أفكار حكماء اليهود وأحبارهم، وقد جاء هذا الموقف الكنسي من المرأة واضحًا مُحدَّدًا على لسان [أحد أقطاب المسيحية الأولى وأئمتها، مبينا نظرية المسيحية - المحرفة - في المرأة]:

(إِنَّهَا مَدْخَلُ الشَّيْطَانِ إِلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَإِنَّهَا دَافِعَةُ بَالْمَرْءِ إِلَى الشَّجَرَةِ الْمُمْنَوِّعَةِ، نَاقِضَةُ لِقَانُونِ اللَّهِ، وَمَشَوِّهَةُ لِصُورَةِ اللَّهِ - أَيْ صُورَةِ الرَّجُلِ -] ^(٤).

و كذلك يقول (كرائي سوستام) الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة:

(هِي شَرٌ لَابِدٌ مِنْهُ، وَوَسْوَسَةُ جَبْلِيَّةٌ، وَآفَةٌ مُرْغُوبٌ فِيهَا، وَ خَطَرٌ عَلَى الْأُسْرَةِ وَالْبَيْتِ، وَمُحْبَوَّةٌ فَتَّاكَةٌ وَرَزْعٌ مَطْلِيٌّ مَوَاهٌ) ^(٥).
و كان طبيعياً بعد تنامي الحضارة الأوروبية المادوية الحديثة أن تنشأ ردود فعل معاكسة ضد المفاهيم اليهودية، والكنسية الهمجية الخرافية

٤ - ٥ - أبو الأعلى المودودي - الحجاب - ص ٢٢

المختلفة، من قبل شعوب أوربا وأمريكا، وغيرها من الشعوب التي
خضعت قرونا من الزمن لهذا التفكير...

وكان طبيعياً، أن تتحطم هذه النظرية عن الجنس والمرأة وعلاقتها بالرجل والحياة والحضارة... وكان طبيعياً، أن تكون أوربا المادية نظريتها عن هذه الموضوعات على أساس موروثات اليونان والرومان الحضارية من جهة، وعلى أساس رد الفعل المعاكس لوضع المرأة المأساوي في ظل مجتمعها، الذي ورث مفاهيمه وقوانينه وقيمه من المفاهيم اليهودية والمسيحية المشوهة، فانبرت هذه النظرية تنادي بتحطيم المفاهيم الخرافية الباطلة التي كونتها تلك الحضارات المنحرفة والشاذة، وترفع شعار الإباحية الجنسية، وتنادي بما يسمى بتحرير المرأة...

ولم يكن هذا الاتجاه الانتيجة طبيعية للمفهوم الأخلاقي المادي للذة والجنس والاستمتاع والتعامل الغريزي... الذي رفعته الحضارة الأوربية المادية ضد أوضاع المرأة، ومفهوم الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة والحياة، في مجتمعها الذي خلطت الحياة والمفاهيم والعلاقات الاجتماعية فيه أفكار الكنيسة المتحجرة، وبقايا الفكر اليهودي المنحرف، مما أركس المرأة في ظل هذه الحضارة في أحوال السقوط، وشدّد خناق المأساة الاجتماعية من حولها، فلم يهلهها هذا التيار فرصة الخروج من معنة الاحتقار والعبودية والاستهانة بانسانيتها

حتى أسقطها في فوضى الاستمتاع الشهوانى، وضياع المقاييس، وألم المعانة والشقاء النفسي والعائلى، الذى مُنيت به على يد هذه الحضارة المريضة المهزولة، فأصبحت كالمستجير من الرمضاء بالنار... .

و الذي يتبع أوضاع المرأة التي صنعتها هذه الحضارة في أوربا وأمريكا واليابان وروسيا وبقية أنحاء العالم المتأثر بهذا التيار المادى، يشاهد أوضاعاً شادّة، ويلاحظ نتائج مؤلمة، ويدرك أنّ حضارة هذا الإنسان الجاهلي ستهار، وأنّ ركب هذه الحضارة يتعرّض في صحارى التيه والضياع، وأنها تكرار لتجربة الامم الجاهلية المنقرضة التي شخص القرآن تجربتها بقوله: «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاطَرُوا أُولئِكَ بِحِكْمَتِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

(التوبه – ٦٩)

وعلى الرغم من دعوى المدنية بتحرير المرأة، ونيلها حقوقها، ومساواتها بالرجل ... إلا أن مشكلة المرأة و الجنس و العلاقة مع الرجل و المجتمع أصبحت خطراً يهدد سعادة المرأة و الاسرة و المجتمع ... و صارت هذه الدعوات سبباً لشقاء المرأة و مسخ انسانيتها. و هنا هي الارقام و الاحصائيات تخرج علينا في كلّ يوم بحقائق مفزعة، و وضعيات مؤلمة، تشكّل بمجموعها صوت النذير، و ارهادات السقوط، و تفرض على

انسان هذه الحضارة أن يُعيّد النظر في فهمه وتصوّره للجنس والمرأة والرجل وال العلاقة الاجتماعية بينهما ...

ولكي نضع بين يدي القارئ شهادة موثقة بأرقام الاحصاء، ونتائج الدراسات، ندون في ما يأتي عيّنات احصائية تحكي لنا جانبًا من صورة المأساة والضياع المرقع في ظلّ الحضارة المادية الحديثة، لمشاكل الاسرة، والطلاق، و الزنا، و الأبناء غير الشرعيين و تعasse المرأة والرجل الاسرية... الخ... فثلاً:

كتبت جريدة القبس الكويتية تقول: (هجرت ١٢٧١٣ ربة بيت في العام الماضي بيتهما، أي بمعدل (٣٥) ربة بيت في اليوم، في اليابان، وقد أذاع البوليس هذه الارقام يوم الاحفال بعيد الأم، بناء على الطلبات الواردة اليه للبحث عن الأمهات، أوربات البيوت المختفيات، ويطلق اليابانيون على ربة البيت المختفية لأسباب خلافات عائلية، وعنف الأزواج... بالسيدة المتبخرة.

وهناك عدد متزايد من ربات البيوت اللواتي يصادفن رجالاً غير أزواجهن و يتربكن البيت والأطفال، وذكر البوليس أن (٤٠٠) ربة بيت قد هجرن بيتهن فراراً من الديون^(٦).

وجاء في تقرير آخر:

(...) أعلنت اليوم هيئة، مقرّها بنيويورك و عملها البحث عن

الزوجات أو الأزواج الهاربين من بيوتهم، أنه قد اتضح من العمليات التي قامت بها في عام (١٩٥٢ م) أنَّ في الولايات المتحدة سبعين ألف زوج هارب من زوجته مقابل (١٥) زوجة فقط هاربات من أزواجهن^(٧).

و جاء في مجلة المجتمع الكويتيَّة: (تعد بريطانياً أول دولة أوروبية فيها تسجله من حوادث الطلاق كلَّ عام، وكانت قد سُجِّلت في العام الماضي وقوع (١٧٠) ألف حالة بعد أن كانت (١٤٦) ألفاً في العام الذي سبقه، و تشير الأرقام إلى وجود نحو (٧٠٠) ألف إنسان يعيشون بعد الطلاق على برامج الرعاية الاجتماعية، و الدعم المالي، الذي تقدمه الحكومة، مما يرهق خزینتها بمبالغ باهضة)^(٨).

و كتب أحد القضاة الأمريكيين قائلاً: (في بلدة دنور، في سنة ١٩٢٢ م، أعقِّب كلَّ زواج تفريقيَّ بين الزوجين، و بازاء كلَّ زواجيْن عُرِضَت على المحكمة قضيَّة الطلاق، و هذه الحالة لا تقتصر على بلدة دنور، بل الحق أنَّ جميع البلدان الأمريكية على وجه التقرير تماثلها في ذلك قليلاً أو كثيراً)^(٩).

(وقد جاء تقرير طبيب من مدينة (باتي مور) أنه قد رفع إلى

٧ — الدكتور مصطفى السباعي — المرأة بين العفة و القانون — ص ٢٥٧ ط ٤.

٨ — مجلة المجتمع الكويتيَّة — العدد — ٤٣٩ — السنة العاشرة ص ٢٧.

٩ — أبو الأعلى المودودي — الحجاب — ص ١١١.

الحاكم في تلك المدينة أكثر من (١٠٠٠) (ألف) مرافعة في مدة سنة واحدة، كلها في ارتكاب الفاحشة مع صبياً دون الثانية عشرة من العمر^(١٠)

وجاء في تقرير آخر:

(أن النساء اللاتي قد اتخدنَ من الفحشاء حرفَةً في أمريكا يقدر بجموعهن — على أقل تقدير — بين أربعين ألف و خمسين ألف ...) ^(١١).
وفي تقارير أخرى نقرأ:

(تعرضت تسعة فتيات للاغتصاب والاختطاف من أصل كل اثنتي عشرة فتاة في بريطانيا) ^(١٢).

وجاء في تصريح لندوة الأمم المتحدة التي كلفت بدراسة أوضاع المرأة في الشرق العربي الدكتورة (هومر) السويدية عام (١٩٧٥ م):
(إن المرأة السويدية تفكك في هذه الأيام بالطالبة يجعل هذه السنة الدولية للمرأة، ثم جعل سنة دولية للرجل لانقاد حقوقه من المرأة، و
قالت: — إن مأساة المرأة في السويد هي الحرية التي نالتها وأوصلتها إلى درجة خطيرة ورهيبة).

وقالت الدكتورة هومر أيضاً: أن ٢٥٪ من السويديين مصابون

١٠ — المصدر نفسه — ص — ١٠١.

١١ — المصدر نفسه — ص ١٠٦.

١٢ — منشورات مؤسسة البلاغ — الإنسان و الدين — ص ٩٨.

بالأمراض العصبية والنفسية، و٤٠٪ من الدخل في السويد ينفق على معالجة هذه الأمراض، وذلك سببه الحرية التي نالتها المرأة في السويد بالشكل الذي تمارسه^(١٣).

إن حالات الحمل السابقة للزواج قد بلغت حداً وبايضاً في الولايات المتحدة الأمريكية، فالزنا يتفاقم بشدة، وحالات اللواط والسحاق في أوساط الرجال والنساء تكشف بشكل فاضح طبيعة الاتجاهات الجنسية المنحرفة. ومع استفحال حالة الحمل السابق للزواج، تبرز المشكلة الأخلاقية الخطيرة ألا وهي الاجهاض، والتي تسبب في هلاك وفناء الأطفال وهم داخل أرحام أمها لهم.

كما ان ظاهرة الأمراض الجنسية القابلة للانتقال أفسحت شرًّا مستطيراً، فاستناداً إلى دراسة حديثة أجرتها وكالة (أوسوشيتدبريس)، تبين أن أرباعاً من كل خمس نساء أمريكيات عازبات في العشرين من أعمارهن يمارسن الجنس، وان واحدة من كل ثلاث تعاشر رجلاً في إطار من العلاقة الجنسية غير الشرعية، وإن ثلث مجموع تلكم النسوة حملن مرة واحدة على الأقل، وإن ٤٠٪ من الحوامل أجرت عملية اجهاض.

إن هذه الإحصائيات علامات واضحة تكشف عن الواقع الأخلاقي لهذه المجتمعات المتmodernة والسائلة نحو هاوية السقوط.

.٩٩ - المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩

إن ظاهرة الخيانة الزوجية بواسطة الرجل والمرأة معاً تركت بصماتها القوية في نفوس الأطفال الذين يفتقرن إلى حسن أخلاقي كان غالباً في نفوس والديهم.

ان استمرار هذه الظاهرة وضعتنا مرّة أخرى أمام مشكلة دوفقاً حلّ على الصعيد الإنساني.

وجاء في تقرير آخر من التقارير التي تكشف مأساة الإنسان في ظلّ الحضارة المادية ما يأتي:

(يقول الاتحاد الأمريكي للخدمات الأسرية: أصبح انهيار الأسرة و الذي وصل الآن إلى درجة وبائية: المشكلة الاجتماعية الأولى ، فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص ، والمعدل الحالي هو سبعة أضعاف ما كان قبل مائة سنة. وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨ م ، ويولد سنوياً أربعة ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة!!) ^(١٤).

وجاء في تقرير آخر:

(... وهل تعلم أنه ورد في تقرير لكتاب التحقيق الفيدرالي أن نسبة جرائم القتل في نطاق الأسرة هي حالات قتل زوج لزوجته...؟ وإن (١٥٪) من جرائم الأسرة هي حالة قتل أبوين لأبنائهما) ^(١٥).
(وفي استفتاء جرى مؤخراً تحت إدارة اليونسكو كانت النتيجة أن

(٦٠٪) من الزوجات الامريكيات والزوجات الاوربيات يشعرن بالخيبة والشقاء وعدم الرضى^١).^(١٦)

وجاء في تقرير آخر أنه بلغت حالات الطلاق في بريطانيا بسبب الخيانة الزوجية من كلا الزوجين كالتالي:

السنة	عدد حالات الطلاق
١٩٣٨ م.	٩٩٧٠ طلاقاً
١٩٥٠ م.	٢٩٩٦ طلاقاً
١٩٦٠ م.	٢٧٨٧٠ طلاقاً
١٩٦٩ م.	٦٠١٣٤ طلاقاً
١٩٧٠ م.	٧٠٥٧٥ طلاقاً
١٩٧١ م.	١١٠٠١٧ طلاقاً
١٩٧٢ م.	١٠٩٨٢٢ طلاقاً
١٩٧٣ م.	١١٥٠٤٨ طلاقاً
١٩٧٧ م.	١٤٦٠٠٠ طلاقاً
١٩٧٩ م.	١٧٠٠٠ طلاقاً
١٩٨١ م.	١٨١٠٠٠ طلاقاً ^(١٧)

كشف عدد أكتوبر عام ١٩٨٥ م من مجلة (عالم المرأة) الحقائق المثيرة

١٦ — المصدر السابق — ص ١٠٠.

١٧ — المصدر السابق ص ١٠١ — ١٠٣.

التالية، والتي تدل على الانحلال والتفسخ في المجتمعات غير
الاسلامية:-

ـ إن طفلاً واحداً من بين ستة أطفال يولدون في المملكة المتحدة في
عام ١٩٨٤ م، يولد بصورة غيرشرعية.

ـ إن استفتاء أجري لنساء متزوجات لفترة من ٥ - ١٥ سنة
أظهر أن (٢) من بين كل (٥) نساء اعترفن بوجود علاقة
جنسية غيرشرعية بشخص آخر غير أزواجهن.

ـ كما إن استفتاء لعدد من طالبات الدراسة الشانوية كشف أن
ثلاثة أرباع هذا العدد لا يرغبن في الزواج، ويفضلن إشباع رغباتهن
الجنسية دون زواج ...

ـ إن عدد حالات الاغتصاب قد ارتفع بنسبة ٢٧٪ خلال السنة
شهر الأولى من هذه السنة.

ـ وتفيد المعلومات المستقاة من مسؤول قيادي في (بيت الطفل
الوطني)، ان واحداً من كل خمسة أطفال بريطانيين يتعرضون للاعتداء
الجسدي والجنسي، وقد عزا هذا المسؤول انتشار هذا الوباء (الاعتداء)
إلى ظاهرة الانهيار الأسري، وقال ان مصدر هذا الاعتداء هو الآباء غير
الأصليين أو أمهاتهم اللائي يعيشن كعشيقات لا كأمهاهات وزوجات.

ـ وفي دراسة واسعة أجريت من قبل مسؤول تربوي، أظهرت إن
راشداً واحداً من بين كل عشرة في المملكة المتحدة تعرض لاعتداء

جنسى خلال طفولته.

— كما كشف تقرير آخر إن (٩) فتيات من بين كل (١٢) فتاة في بريطانيا تعرضن للاختطاف والاغتصاب.

و في رسالة لوكالات الأنباء البريطانية (رويتر) نشرتها في الثالث من ديسمبر عام ١٩٨٥ م ذكرت فيها أن في كل أسبوع واحد يقتل في بريطانيا (٤) أطفال بواسطة والديهم أو القائمين على شؤونهم طبقاً لمصادر الجمعية الوطنية لمكافحة القسوة بحق الأطفال. وأضافت الوكالة أن المشكلة هي أخطر بكثير مما يتصور، فقد كشف ناطف باسم الجمعية رقا رهيباً عن عدد الأطفال الذين يموتون سنوياً بواسطة أبوهم (٢٠٠)، كما وأفاد أنه خلال كل أسبوعين يقتل طفل واحد في بريطانيا من قبل غرباء أو بواسطة أقرباء.

إن دوائر التسجيل في إنكلترا وويلز وアイرلند الشمالية فوجئت بتسجيل ما مجموعه (٣٠) ألف طفل كانوا ضحايا لسوء المعاملة، وهذا الرقم يمثل زيادة تفوق (٥) آلاف حالة جديدة اكتشفت خلال السنتين الماضيتين.

إن هذه الأرقام، أ Mata اللثام عنها (براين رويكروفت) مسؤولة منظمة مديرى الخدمة الاجتماعية في تحقيق قضائى الجري عن المعاملة السيئة التي يتعرض لها الأطفال في كليفلاند وشمال إنكلترا، فقد ذكر هذا المسؤول ان الارتفاع كان أكثر بكثير من نسبة ٢٢% الموجودة في

بعض المناطق، و وصف الموقف في كليفلند بأنه (مرعب)، فقد أظهرت الأرقام زيادة مهمة في عدد المناطق التي تحفظ باحصاءات مستقلة عن حالات الاعتداء الجنسي على الأطفال.

إن ظاهرة الانهيار الأسري في بريطانيا يمكن أن تعلل رواج و انتشار حالات العيش و المعاشرة دون زواج شرعي ، فالأرقام الجديدة التي أصدرتها حكومة المملكة المتحدة في الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٨٨ م كشفت زيادة في نسبة الولادات غير الشرعية، فقد ارتفعت النسبة من ٤٪ في الخمسينيات إلى ٢١٪ من مجموع الولادات في عام ١٩٨٦ م باستثناء الدنمارك التي سجلت معدلاً أوربياً عالياً بلغ ٤٣٪.

إن الاحصاءات الصادرة عن المصادر الاجتماعية، أشارت إلى ارتفاع كبير في معدل الطلاق في بريطانيا، و ان ضعفي هذا المعدل موجود في فرنسا وألمانيا الغربية، فقد اكتشف أنه ما بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٥ تضاعفت نسبة هؤلاء الذين يعيشون معاً بدون زواج، كما أن نسبة تقدر ١٥٪ من مجموع النساء العازبات - عام ١٩٨٥ - ما بين سن ١٨ و ٤٩ بضمهم كثير من المطلقات، يعاشرن رجالاً بصورة غيرشرعية.

كما شهدت حالة الانهيار الأسري ارتفاعاً حاداً في عدد الأشخاص الذين يعيشون حياة وحيدة، فبينما كانت النسبة ١٠٪ عام ١٩٥١ م، إذ بها ترتفع إلى ٢٥٪ من المجموع الكلي لعدد أفراد العائلة.

إن اللقاء العالمي عن المرأة ووسائل الاعلام الذي عقد في أثنا

اليونان عام ١٩٨٥ م كان إدانة واضحة للأسلوب الذي تعامل فيه المرأة في المجتمعات الأوروبية التي تزعم الدفاع عن الحرية والمساواة.

فقد ابْرَت إحدى المشاركات في هذا اللقاء و اسمها بتراكيلي وهي عضوة البرلمان في ألمانيا الاتحادية وأعلنت ببرارة شديدة: (نحن عشر النساء نتعامل في ألمانيا كأقلية، كما يعامل المرضى والطبقات الدنيا من المجتمع والأطفال، فهم يصوروننا كمادة للاباحية الجنسية ويعتبرون استخدام العنف معنا شيئاً طبيعياً، وفي كل ١٥ دقيقة تقع امرأة واحدة فريسة للاغتصاب).

و طالب اللقاء بالحاج من البرلمان اليونياني أن يصدر قانوناً يحرم بموجبه استثمار المرأة كسلعة للإعلام التلفزيوني الخليع.
و فيما يلي إحصائية تكشف هذا الانهيار العائلي الو悲哀ي في المجتمعات المادية المنحرفة:

فرنسا:

— إن حالة واحدة من بين أربع حالات زواج تنتهي بالطلاق، وقد تصل النسبة في المدن إلى ٥٠٪.

— إن من بين (٦٠٠) ألف حالة زواج سنوياً يختار (١٠٠) ألف أن يعيشوا بدون زواج، كما يختار (١٠٠) ألف الطلاق.

كندا:

— إن ٤٠٪ تقريباً من حالات الزواج الأولى تنتهي بالطلاق، كما

تضاعف معدل الطلاق بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٨٢ م.

الاتحاد السوفيتي:

— إن ٧٠٪ تقريباً من حالات الزواج تنهار خلال عشر سنين، وطبقاً لمجلة (موسكسكايا برافدا) بأن عوامل هذه الظاهرة تمثل في السكر الشديد وال الحاجة إلى المال وفقدان حرمة العلاقات الزوجية.

وسط وجنوب أمريكا:

— أوضحت مجلة اليونسكو (كورير) أن العوائل التي تفتقر إلى أحد الأبوين غالباً ما يسببها هجرة النساء إلى المدن، و إيجاد أطفال بواسطة سلسلة من العلاقات الجنسية. وتضيف هذه المجلة بأن حالات الانهيار الأسري ووقوع الأمهات والأبناء ضحية للبؤس والشقاء تحدثها معاقرة الخمور وافتقار الأزواج إلى مصادر العيش الكافية كلها. كما بيّنت المجلة أن الدول ذات الأرقام القياسية في الولادات غير الشرعية في العالم تقع في منطقة الكاريبي وفي وسط وجنوب أمريكا.

الصين:

مع أن نسبة الطلاق في الصين هي أوطأ منها في أكثر الشعوب الغربية غير أنها — أي النسبة — ارتفعت إلى ٧٠٪ خلال خمس سنين. بهذا الصدد نقلت مجلة (بكينك رفيو) إن معدل الطلاق يزداد بشدة.

بريطانيا:

إن معدل الطلاق في المملكة المتحدة يعتبر الأعلى في أوروبا الغربية، فهناك واحدة من بين سبع عازبات تتراوح أعمارهن بين ١٨ - ٤٩ تعيش مع رجل بصورة غير شرعية.

الولايات المتحدة الأمريكية:

إن نصف حالات الزواج لهذا العام يحتمل أن تنتهي بالطلاق، كما أن ٦٠٪ من الأطفال الذين ولدوا هذا العام سيقضون جزءاً من طفولتهم مع أسر أحادية الوالدين، أي مع أب بدون أم أو أم بدون أب.

البابان:

لقد تضاعفت نسبة الطلاق خلال العشرين سنة السابقة، قبل عام ١٩٤٧ م كان يسمح للرجال أن يهجروا زوجاتهم في الشارع وذلك بترك ملاحظة وجيبة يشيرون فيها إلى الطلاق. أما الآن فان ٧٠٪ من حالات الطلاق تقدم عليها المرأة.

ونشرت مجلة (مستشفى اليوم) اللندنية في مقاها الافتتاحي لعدد أبريل ١٩٧٥ م موجزاً عن التقرير السنوي للمسؤول الطبي في وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية ما ترجمته حرفياً: - (... و بالرغم من التوفر الواسع لحبوب منع الحمل، والاجهاض القانوني فإن ٨٦٪ من

الأطفال يولدون لأمهات غير متزوجات !!).

(ثم أن هناك أمرا خطيرا، إذ تبين في سنة ١٩٧٣ م وجود حالة حمل واحدة لفتاة عمرها ١١ سنة، وست حالات حمل لفتيات عمرهن ١٢ سنة، كما حملت ٣٨ فتاة و هن في الثالثة عشرة، و ٢٥٥ فتاة و هن في الرابعة عشرة، وهناك ١٦٦ ألف حالة إجهاض قانونية في نفس العام... كما أن ٥٠٪ من هذا العدد أي ٨٣ ألف حالة إجهاض لنساء غير متزوجات)^(١٨).

إذا توجهنا نحو الشرق، نجد أن التفسخ والتحلل الاجتماعي في العالم الشيوعي لا يقل بشاعة وفطاعة عنها هو عليه في العالم الرأسمالي، فقد نقلت مجلة (انتيفيز) في عددها الصادر في نيسان عام ١٩٧٧ م ما يلي:

(و المشكلة الخطيرة في المجتمع الشيوعي الروسي هي:— إن في كل والتي زواج تحدث حالة طلاق في معظم المدن الروسية الغربية. ^(١٩) في موسكو مثلاً بعد ولادة الطفل الأول تحدث ٤٩ حالة طلاق من كل حالة

١٨ — المصدر السابق ص ١٠١ - ١٠٣.

١٩ — يلاحظ في هذا التقرير أن الإسلام رغم محاربة الشيوعية المحددة له في المناطق الإسلامية الخاضعة للاستعمار الروسي، فإنه ما زال يؤثر في المسلمين هناك و يقلل من مشاكل الأسرة و المرأة في المناطق الشرقية من الاتحاد السوفيتي، حيث أن مشاكل الأسرة تتركز خطورتها في المناطق غير الإسلامية.

زواج. وفي منطقة (مافادنسك) نسبة الطلاق ٩٪ /٧٢،

ودعا مؤتمر الأطباء الذي عُقد في جامعة موسكو عام ١٩٧٥ م إلى اتخاذ خطوات مستعجلة لمعالجة هذا الاضطراب الاجتماعي الخطير، وهو نسبة الطلاق المرتفعة، وكذلك انخفاض نسبة الولادة...^(٢٠).

ولا يفوتنا هنا أن نربط بين هذا التقرير وبين آخر الاحصائيات التي نشرت عن تزايد عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي وبلغتهم نسبة عالية يفوق نوها البشري نمواً المناطق الغربية من الاتحاد السوفيتي مما زاد قلق الروس... ولعل هذا التزايد السكاني عند المسلمين هو الذي يفسر لنا التعديل الجندي الأخير في الدستور السوفيتي الذي كان يعطي دول الاتحاد السوفيتي حق الانسحاب من الاتحاد، وحق التمتع بالاستقلال الذاتي، خوفاً من أن يصبح المسلمون الكفة الراجحة في الاتحاد السوفيتي في نهاية هذا القرن...

وهكذا نشاهد الترابط الاجتماعي والسياسي في النظام الإسلامي

٢٠ — المصدر السابق ص ١٠٢. والجدير بالذكر أن المشاكل العائلية المذكورة تقتصر على المناطق غيرالإسلامية في الاتحاد السوفيتي، فرغم القمع الذي تتعرض له التعليمات الإسلامية في الأراضي الإسلامية الواقعة تحت الحكم الروسي... مع ذلك فإن الإسلام مايزال يمارس تأثيره على حياة المسلمين وسلوكيهم الاجتماعي، ويظهر هذا التأثير في تناقص الاضطراب العائلي وحفظ المرأة على شخصيتها المعنوية هناك.

يؤثّر في حياة المسلمين... ونستنتج من ذلك أيضاً مدى قدرة نظام الأسرة في الإسلام على الرغم من عدم الالتزام الكامل به على التأثير الإيجابي في حياة المسلمين...

وإذا عدنا إلى تحليل وتقسيم العلاقات الجنسية ومكانة المرأة وقيمتها في ظلّ الحضارة الأوروبيّة المادّية، فسنستنتج أنّ أثراً لها لم يقف عند هدم الأسرة وحوادث الطلاق والأبناء غير الشرعيين، والشقاء الأسريّ، والانهيار والقلق النفسيّ، وتزايد جرائم الأحداث... الخ... بل وأنّ شرّ هذا الوباء امتدّ ليؤثّر على الصحة الجسدية أيضاً لكلّ من الرجل والمرأة، بسبب الفوضى والشذوذ الجنسي البهيمي الذي يمارسه كلا الجنسين في ظلّ هذه الحضارة الجاهليّة المنهارة... وتقارير الأطباء ومعاهد الصحة والاحصاء تؤكّد ذلك، وتلوّح باشارة الخطير...، نقتبس من هذه التقارير:

[جاء في تقرير للدكتور (ليربٌت)، وهو طبيب فرنسي: (انه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بأمراض الزهيري المختلفة كلّ عام، ويموت في أمريكا بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهيري الموروث كلّ سنة) و الجدير بالذكر أنّ هذا المرض سببه انتشار الزنا^(٢١).]

ونقل الاستاذ أبوالاعلى المودودي في كتابه (الحجّاب):

(... فقد قدروا أنَّ ٩٠٪ من أهالي القطر الأميركي مبتلون بهذه الأمراض. و يعلم من دائرة المعارف البريطانية أنه يعالج في المستشفيات الرسمية هناك مائة ألف مريض بالزهري، و مائة و ستون ألف مصاب بالسيلان البُّي في كلَّ سنة بالمُعْدَل، وقد اختصَّ بهذه الأمراض الجنسية و حدّها ستمائة و خمسون مستشفىً، على أنَّه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم ٦١٪ من مرضى الزهري و ٨٩٪ من مرضى السيلان!!

هذا ويموت في أمريكا ما بين ثلاثين و أربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحده. وأقلَّ ما يقدّره المسؤولون في مرض السيلان أنه قد أصيب به ٦٠٪ من النفوس في سنّ الشباب فهم العزاب و المتأهلون وقد أجمع الماهرون في أمراض النساء على أنَّ ٧٥٪ من اللاتي تُجرين العملية الجراحية على أعضائهن التناصليَّة يوجدن متأشرات بمرض السيلان^(٢٢).

هذه صورة مختصرة لعلاقة المرأة بالرجل، وأوضاع الأسرة في ظلَّ عدد من الحضارات غير الإسلامية ... وخصوصاً الحضارة الأوروبية الحديثة التي انساقت نحو الإباحية و الفوضى الجنسية، وراحت تفلسف هذه الفوضى و تعطّلها تفسيراً علمياً — كما يدعى المخططون لهذه النظريات — و كما فعل فرويد و فسر الحياة و النشاط البشري كله وردة

٢٢ — أبو الأعلى المودودي — الحجاب — ص ١٠٨ — ١٠٩.

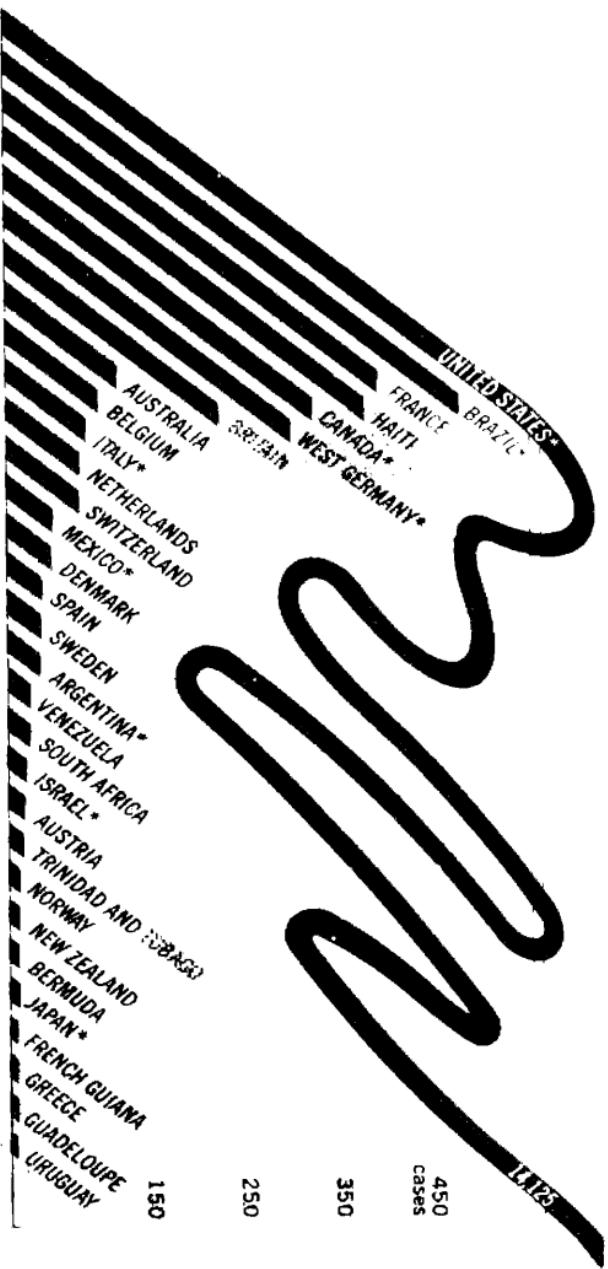
إلى الدافع الجنسي، فاعتبر السلوك الانساني والحضارة البشرية وما فيها من ألوان الابداع والماسي والارتفاع والسقوط إنْ هو الا مظهر من مظاهر التعبير عن دوافع الغريزة الجنسية عند الانسان، وعندما وصل فرويد إلى دراسة وتحليل الامراض النفسية والعصبية وردها إلى الكبت الجنسي نادى بالباحثية الجنسية للتخلص من الكبت و الحالات المرضية كما يزعم ...

إلا أنَّ الحقائق العلمية، والأرقام الاحصائية التي سجلتها معاهد الاحصاء وعيادات الأطباء والمصحات العصبية والنفسية تؤكد تفاقم أزمة الانسان النفسية وتزايد الاصابة بهذه الامراض الفتاكه كلما ازدادت الفوضى الجنسية ...

و انطلاقاً من الفلسفة المادية التي تؤمن بها الحضارة الجاهلية الحديثة فقد أثبتت كل الممارسات، وصور التعبير الجنسي منها توغلت في الشذوذ والانحراف، حتى أنَّ بعض القوانين الاوروبية – كالقانون البريطاني مثلاً – أباح اللواط ولم يعتبره مخالفة، أو جريمة يعاقب فاعلها !!

وهكذا انتهت أوربا بفلسفتها ونظرياتها وممارساتها عن المرأة و الجنس إلى كارثة تهدد كيان حضارتها، ونظام الحياة فيها ...

مخطط بياني يوضح عدد حالات الأيدز المسجلة في دول العالم المختلفة لسنة ١٩٨٥ م. ()



ومن الجدير ذكره أنه لا توجد بين هذه الدول أية دولة إسلامية.

المرأة

و وحدة النوع الانساني

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَاوَرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ».

(الحجرات - ١٣)

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَ
خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْضَ حَمَّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا».

(النساء - ١)

من المسلمات الأساسية التي يجب على الباحث والمفكر والدارس للإسلام أن يقيم أبحاثه و دراسته عليها هي الالتزام بمنهج توحيدى يقوم على أساس الإيمان بالله وإيماناً توحيدياً فتقى يمكن الباحث من الرابط بين العقيدة من جهة، وبين القوانين والقيم الإسلامية من جهة أخرى، وبدون هذا المنهج تصبح الدراسة عقيمة، والأحكام التي يصدرها هذا الباحث أو ذلك قاصرة عن بلوغ الأهداف و تشخيص الحقيقة... فالإيمان بالله الأحد المتصف بالعلم والقدرة والعدل والحكمة...

الغ..، يؤثّر تأثيراً مباشراً على الموقف من التشريع والتقنين الصادر عن الله تعالى، لأنّ الإيمان بهذه الحقائق يقود إلى الإيمان بانعكاس هذه الصفات على التشريع الاهي، والتصديق بعدلته وحكمته، والتسليم بقيامه على أساس واقعية... فإذا ترسخت هذه العقيدة وغاها هذا المفهوم في تفكير ووعي من يتعامل مع الشريعة الإسلامية يشاهد هذه الصفات، العدالة، والحكمة، والعلمية الواقعية، متجسدة في كلّ حقيقة أتى بها الإسلام... وإذا شئنا تطبيق هذا المبدأ الأساس في البحث والتفكير والتعامل مع الإسلام على القوانين والمفاهيم والتشريعات التي أتى بها الإسلام لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة والأسرة لوجذناها مفاهيم علمية، لامكان للخرافة والتحجر والظلم فيها، ونحن نستطيع أن نستنتج هذا المفهوم من المقارنة العلمية بين واقع المرأة في ظلال الإسلام وواقعها المزري في ظلال المفاهيم والقوانين غيرالإسلامية — وقد استعرضنا جانباً منها في بحثنا السابق من هذا الكتاب—.

ونعود هنا فنؤكّد: أنّ الإسلام بنى كلّ مفاهيمه، وقيمته، وتشريعاته الخاصة بالأسرة والمرأة وعلاقتها بالرجل والمجتمع، منطلقاً من قاعدة علمية أساسية وهي الإيمان بوحدة النوع الانساني، وأنّ المرأة والرجل تجمعهما صفة الإنسانية، ولا فرق بينهما في هذه الحقيقة:
«هو الذي خلَقْتُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...».
(الاعراف — ١٨٩)

«يا أئتها الناسُ إنا خَلَقْنَاكُم مِّن ذِكْرٍ وَأَنثِيٌّ».

(الحجرات - ١٣)

«يا أئتها الناسُ آتَقُوكُم الَّذِي خَلَقْتُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...».

(النساء - ١)

فالرجل والمرأة في عرف الاسلام يمثلان سكتي قطار الحياة.

والاسلام لا يفرق بين رجل و امرأة من حيث الانسانية، فهما من نفس واحدة، والأكرم منها هو المتقى – رجالاً كان أو امرأة – وليس لديه مفاهيم ولا تشريعات خاصة ب الرجل وأخرى بامرأة، الا بحدود ما يتعلّق بطبيعة النوع في كلّ منها من الناحية التكوينية والوظيفة الحياتية.. لذا فإنّ دعوى حقوق المرأة و تحريرها .. الخ. و مساواتها بالرجال في التعليم والسياسة والحقوق المدنية ... الخ، تعتبر دعوى غريبة على روح الاسلام... وليس في الاسلام مبدأ حرمان المرأة من حقوقها حتى تطرح مثل هذه الدعاوى، و ينادي بتحريرها و اعطائها حقوقها...

فالاسلام ثبت لها حقوقها في اليوم الذي ثبت فيه للرجل حقوقه، و تعامل مع شطري المجتمع (الرجل والمرأة) تعاملًا إنسانيًا على حد سواء، فهو بعد أن أقرّ بوحدة النوع الانساني، وسحب الخصائص الانسانية على كلّ من الرجل والمرأة على حد سواء جعل تشريعاته، وقيمه كلّها قائمة على أساس الإيمان بهذا المبدأ (وحدة النوع الانساني) هذا النوع الذي

حظي بتكرير الله سبحانه و عناته الخنون .
أما ما نسمعه من دعاؤى و حوار و صيحات تنطلق من هنا و
هناك ، و صراع محتمد في مجتمعات المسلمين القائمة الآن ، فهو صراع بين
تيارين لا علاقة للإسلام بهما ، ولا رابطة لها بالاسلام ...

هو صراع بين تيار إباحي تسلل مع الغزو المضاري والثقافي
الاوي لعالمنا الإسلامي من جهة ، وبين تيار مختلف يلتزم بعادات و
تقالييد وضعية اجتماعية خلقها ظروف البيئة والتخلف عبر القرون عن
المرأة وعلاقتها بالرجل و المجتمع و الحياة من جهة أخرى ، ولا ارتباط لها
بمفاهيمه وأفكاره ، بل هي وليدة تخلف المسلمين ، و ظاهرة تدل على
غياب العلاقات والمفاهيم الإسلامية ...

لذلك يجب الفصل بين وضع المرأة في الشعوب و البلدان الإسلامية
و بين وضعها في الشريعة و المبادئ و القيم الإسلامية .
ولا يصح تحميل الإسلام — كشريعة و قانون — مسؤولية تخلف
المسلمين ، ولا يجوز الحكم عليه — في أي موقع من مواقعه — بالصورة
الاجتماعية المختلفة التي يعايشها المسلمون بعد ان ابتعدوا عنه ، و عزلوه
عن ميدان العمل و التطبيق ...

مكانة المرأة في الإسلام

★ الإسلام يَكْرَمُ المرأة:-

تتمتع المرأة في الإسلام — فضلاً عن حقوقها القانونية والمدنية — بعمرٍ من الرعاية والحب والحنان في المجتمع الإسلامي... فهي في رأي الإسلام حرية بأن تمنح هذا العطف، وتغمر بهذه المشاعر... أليست هي الأم الحنون؟ أو الزوج الحبيب؟ أو البنت العطوف؟ وان أصدق من يترجم هذه الحقيقة، ويعبر عنها هو القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة.

«وَصَّيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالدِّيهِ حَمَلَتْهُ أُمَّهُ وَهُنَّا^(٢٣) عَلَىٰ وَهُنِّي وَفِصَالَهُ فِي عَامِينِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيكَ إِلَيَّ التَّصْبِيرُ».

(القمان — ١٤)

«وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لِكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَغْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَإِثْسِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»

(القمان — ١٥)

٢٣ — و هنا علىٰ وهن: ضعفا علىٰ ضعف.

«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ إِحْسَانًا حَمِلْتَهُ أُقْمَةً كُرْهًا^(٢٤) وَوَضَعْتَهُ كُرْهًا وَحَمِلْتَهُ وَفِصَالَةً ثَلَاثَةٍ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشْدَهُ وَبَلَغَ أَرْبَعينَ سَنَةً قَالَ رَبُّ أُوزِّعْنِي أَنَّ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالَّدِي وَأَنَّ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذَرَيْتِي إِنِّي ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَأَنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

(الاحقاف - ١٥)

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيمَانُهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَتَلَعَّنُ عِنْدَكَ الْكِبِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَامُهُمَا فَلَا تَقْتُلُهُمَا إِلَّا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاحْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ^(٢٥) مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ ارْجُهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا».

(الاسراء - ٢٤ ، ٢٣)

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

(الروم - ٢١)

(النساء - ١٩)

«... وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...»

(البقرة - ٢٢٨)

«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...»

(البقرة - ٢٣١)

«فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَمْنُوعٍ»

٢٤ — كرها: مشقة.

٢٥ — الذل: التواضع، أي تواضع لها و كن بها رحبا.

وفي السنة النبوية تجد للمرأة قيمة وموقعها سامياً كما هي مكانتها في القرآن الحكيم. فالسنة عندما تتحدث عن المرأة، وتبيّن موقعها الاجتماعي، تحيطها باطار من الحب والتكرم والعناية... خصوصاً عندما تتحدث عن الأم والزوجة والبنت...

فهذا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو يخطب في المسلمين في حجّة الوداع ويثبت لهم ما يخشى ويحذّر ضياعه من بعده، يجعل قضية المرأة أحدى هذه القضايا الهامة فيوصي بها قائلاً: (فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا) ^(٢٦).

وها هو يؤكّد في موقع آخر قرب المرأة من نفسه، ومكانتها في حياته، فقد روى عنه حفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق، قال (ع):
قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):

(من أخلاق الأنبياء - ص - حب النساء) ^(٢٧).

وروي عنه -ع- أيضاً أنه قال: (ما أظنُّ رجالاً يزداد في الإيمان خيراً إلا ازداد حبّاً للنساء) ^(٢٨).

وجاء رجل إلى الإمام الصادق -ع- فقال: (إنّ صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة وقد همت أن أتزوج) فقال له: انظر أين

٢٦ - الحراني - تحف العقول عن آل الرسول - ص ٣٠.

٢٧ - الكليني - الفروع من الكافي ج ٥ - ص ٣٢ / ط ٣.

٢٨ - الكليني - الأصول من الكافي - ج ٢ - ص ١٥٩ - ط ٣.

تضع نفسك ، ومن تشركه في مالك وتطلعله على دينك وسررك ،
فإن كنت لابد فاعلاً فبكررا تنسب إلى الخير والى حسن
الخلق...).

وجاء رجل إلى رسول الله -ص- فقال: (يا رسول الله من
أبرء؟ قال: أمك ، قال: ثم من؟ قال: أهلك ، قال: ثم من ، قال:
أهلك ، قال: ثم من؟ قال: أباك)^(٢٩).

وروي (أن رسول الله -ص- أتته ابنته له من الرضاعة ، فلما نظر
إليها سرّها ، وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ، ثم أقبل يحيّثها ، و
يضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت ، وجاء أخوها فلم يصنع به ما
صنع بها ، فقيل له: يا رسول الله صنعت بأبنته ما لم تصنع به وهو رجل؟
قال: لأنّها كانت أباً بوالديها منه)^(٣٠).

وعن أبي خديجة عن الإمام الصادق -ع- قال:
(جاء رجل إلى النبي -ص- فقال: أي قد ولدت بنتا ، وربّيتها ،
حتى اذا بلغت ، فألبستها وحليتها ، ثم جئت بها إلى قليب فدفعتها في
جوفه ، وكان آخر ما سمعته منها وهي تقول: يا أبتاباه!! ، فما كفارة
ذلك؟ قال: ألك أم حيّة؟ قال: لا ، قال: فلنك حالة حيّة؟ قال:
نعم ، قال: فابرها ، فإنّها بمنزلة الأم ، يكفر عنك ما صنعت ،

٢٩ - الكليني - الاصول من الكافي - ج ٢ - ص ١٥٩.

٣٠ - المصدر السابق - ص ١٦١.

قال أبو خديجة:

فقلت لأبي عبدالله -ع-: متى كان هذا؟ فقال: كان في الجاهلية، و كانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين فيلدن في قوم آخرين) ^(٣١).
و عن الامام الصادق(ع): (قال رسول الله -ص- من عال
ثلاث بنات او ثلاث اخوات وجبت له الجنة، فقيل : يا رسول الله
واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله واحدة؟ فقال:
و واحدة) ^(٣٢).

وجاء عن الامام ابي الحسن الرضا(ع) انه قال:
قال رسول الله(ص): (ان الله تبارك وتعالى على الاناث أرأف
منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بيته
وبينها حرمة الافرحة الله يوم القيمة) ^(٣٣).

وعن الامام الصادق -ع- انه قال: (البنون نعيم، والبنات
حسنات، والله يسأل عن النعم ويثيب على الحسنات) ^(٣٤).
هذه اضمامات من النصوص والمفاهيم الاسلامية التي تتحدث عن
المرأة وتدعوا إلى تكريمتها وغمرها بمشاعر الحب والحنان والرعاية

٣١ - المصدر السابق - ص ١٦٢.

٣٢ - الكليني الفروع من الكافي - ج ٦ - ص ٦.
٣٣ - المصدر نفسه.

٣٤ - المصدر السابق ص ٧.

بشكل لم تحظ به في أية حضارة أو مبادئ ، أو مجتمع...
وليس غريبا على روح الاسلام هذا الذي عرضناه، و تحدثنا عنه
من مواقف و مفاهيم و قيم ... فالاسلام جاء لحفظ الحقوق و تكريم
الانسان و بسط أجنحة الرحمة على كل ربوع الأرض.
«... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...»

(الأنبياء - ١٠٧)

لذلك وجدناه - فيما عرضنا من نصوص - يتحدث عن المرأة - الأم
و الزوجة و البنت و الأخت، و كل امرأة - يعطي المرأة هذه المكانة و
العناية، و يؤكّد أنها شقيقة الرجل، و أنها الحريّة بالملوّة و الرحمة و
الإحسان... فهو يوصي بالانشى قبل أن يوصي بالذكر، و يعتبر حب
المرأة مظهرا من مظاهر الإيمان، وليس هذا و حسب، بل ارتفع بهذا
الحب فجعله من خلق النبّيين، و أن المرأة هي أمينة الرجل على ماله و
دينه و سرّه ...

حقوق المرأة الاجتماعية:

و انطلاقا من هذه المبادئ ، فقد أعطى الاسلام المرأة حقوقا
متزاوية مع الرجل، الا ما كان مرتبطا منها بطبيعة التكوين الجسدي و
النفسي و الجنسي أو الموقف الاجتماعي .
فقد أعطى الاسلام المرأة:

١ - حق التعليم: بل جعله واجبا عليها كما هي حال الرجل

تماما... فقد جاء في الحديث الشريف: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

٢ - حق العمل: وكما أعطى الرجل هذا الحق، فانه أعطى المرأة حق العمل أيضا فلا شيء من الأعمال المباحة شرعا محظى عليها ومحظى للرجل، اذ لم يرد في الشرع أن هناك عملاً محظى على المرأة ومحظى للرجل، فالاسلام لا يفرق في تشريعه – وكما هو معلوم – بين رجل وامرأة – غير أن المرأة المتزوجة ليس لها أن تعمل الا بموافقة زوجها، فحقوق الزوجية ونظام الاسرة يتطلب من المرأة الحفاظ على الحياة العائلية، واهتمام بواجبات الزوجية...

٣ - الحقوق السياسية: وأعطيت المرأة هذا الحق كاملا، عدا أنها لا تشغله منصب رئيس الدولة، ولا تتولى القضاء، والا فهي تساهمن في اختيار رئيس الدولة، وممثلة الأمة، ومشاركة في النشاط السياسي والاجتماعي، كما يساهم الرجال، فلها أن تساهمن في المؤسسات والمنظمات والأحزاب. ولها أن تشغل المناصب الوزارية والبرلمانية والسياسية المختلفة...

ويحدثنا القرآن الكريم عن بيعة النساء المسلمات لرسول الله(ص)، ويشهد التاريخ الاسلامي بذلك، ان النساء بايعن رسول الله(ص) وخلفاءه من بعده:

«يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يُبايننَك على أن لا يُشرِّكَنَ

بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيْنَ وَلَا يَقْتُلُنَّ أُولَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيْنَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فِي بَاعِهِنَّ وَاسْتَغْفِر لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

(المتحنة – ١٢)

بل البيعة واجبة على المرأة كما هي واجبة على الرجل... وهي الاقرار بالولاية الشرعية لرئيس الأمة و إمامها.

٤ – الحقوق المدنية: أعطى الاسلام المرأة حقها القانوني كاملاً – كالرجل تماماً – فلها أن تملك ، وتبيع ، وتشتري ، وتهب ، وتعقد العقود... الخ.

فامرأة – في عرف الاسلام – تتمتع بشخصية قانونية مستقلة ، وذمة قائمة بذاتها ، مستقلة عن الأب والزوج وغيرهم ، وهكذا أعطى الاسلام المرأة كامل حقوقها ، وعاملها كما يعامل الرجل في هذه النواحي .

المرأة والاسرة

في البحث السابق تحدثنا عن مكانة المرأة وقيمها الانسانية والاجتماعية، وعن مشاعر ذوي العلاقة من الرجال بها، وعلاقتهم النفسية والسلوكية بشكل عام معها.

ونعود هنا فنتحدث عن (المرأة والاسرة)، فالمرأة في عرف الاسلام هي قاعدة الاسرة، وحجر الزاوية في بنائها، والقلب الحبيب الذي يفيض؛ بمشاعر الود والرحمة والسكينة عليها:-

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لتسكُنوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»

(الروم - ٢١)

فهي مصدر السكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي بالنسبة للرجل، وهي مركز الاجتماع والالتقاء الذي يحمي الأبناء من الضياع والتشريد، وهي منبع الحنان والود والرحمة لكل من الزوج والأبناء، لذا كانت الاسرة ضرورة نفسية واجتماعية وقانونية وتنظيمية، لأنها الوحدة البنائية، والبنية الأساسية في بناء المجتمع والدولة والحياة الانسانية...»

و كلما صلحت الاسرة و قوي بناؤها وأحكمت أواصر العلاقة بين أفرادها... كلما كان المجتمع سليما، و الحياة نظيفة خالية من الجرعة و التعasse و الشقاء النفسي... و العكس صحيح تماماً، فكلما انهارت الاسرة، و تقطعت الأواصر بين أفرادها... كلما حل التشرد و الضياع، و الاحساس بالوحشة و الغربة و الكآبة... و فقد الانسان عقبات الحب، و غاب من دنياه الاحساس بالعاطف و الحنان. و كل الدراسات النفسية، و الاحصاءات العلمية، تؤيد هذه الحقيقة، و تؤكد أن سبب الضياع و الجريمة و انهيار الشخصية عند الكبار يعود بشكل أساس الى التعasse التي عانها الطفل في ظل الاسرة، أو عندما عانى التشرد و فقدان الحنان و رعاية الأبوين.

من هنا كانت الاسرة ضرورة اجتماعية و نفسية و غريزية و تنظيمية، و اقتصادية، و مؤسسة تربوية، و ليست ظاهرة اقتصادية كما تدعى الماركسيّة (الشيوعية)، التي نادت بالاباحية، و هدم الزواج الشرعي، و تدمير الاسرة و بترت هذا الهدم و هذه الاباحية... بفلسفتها التي فسرت بها التاريخ و نشأة المجتمع و الاسرة... فادعت أن المرأة لجأت الى الرجل بدافع اقتصادي، اذ كانت المرأة ضعيفة لا تقوى على الصيد و مصارعة الطبيعة القاسية، عندما كان الانسان يعيش هذه الحياة، لذلك لجأت الى الرجل لتعيش معه، مقابل توفير حاجاتها المعاشية و حاليتها!!!، أما في العصر الحاضر... وبعد أن أصبح بامكان

المرأة أن توفر حاجاتها المعيشية بنفسها، فلا حاجة للأسرة، ولا ضرورة للزواج، وبإمكان كل من الرجل والمرأة أن يشبع غريزته الجنسية من الآخر بعيداً عن مستلزمات الأسرة وشروط الزواج – تماماً – كما تُشبع الحيوانات الأخرى غرائزها الجنسية!!!

وتعتبر الشيوعية هدم الأسرة، ضرورة من ضرورات الانتقال إلى المجتمع الشيوعي، الذي يقوم على أساس هدم الدولة والدين والأسرة والملكية الخاصة، والعودة إلى الإباحية، والمشاعية في النساء والمتلكات، كما كانت في بداية ما قبل الحياة الاجتماعية كما تدعى... وقد جاءت هذه الدعوة صريحة في البيان الشيوعي الذي أصدره (ماركس وأنجلس) زعيم الشيوعية، ومؤسس النظرية:

(...) هدم العائلة! حتى أشد الراديكاليين تطرفاً تسخطهم نية الشيوعيين هذه، الفاضحة المرذولة... ولكن، على أية قاعدة ترتكز العائلة البرجوازية في الوقت الحاضر؟ إنها ترتكز على رأس المال والربح الفردي، وهي بكامل كيانها وتمام بنائها، ليست موجودة إلا عند البرجوازية فقط. ولكن تتمتها هي الالغاء القسري للعائلة بالنسبة للبروليتاري^(٣٥) ثم البقاء العلني. أن العائلة البرجوازية تضمحل طبعاً باضمحلال تتمتها هذه وكلتاها، العائلة البرجوازية وتتمتها تتلاشيان

٣٥ – البروليتاريا – الطبقة العاملة. وهو يقصد المجتمع الشيوعي الذي تسيطر فيه الطبقة العاملة (حسب زعمه).

بتلاشى رأس المال.

أتأخذون علينا أننا نريد القضاء على استثمار الأبناء من قبل أهلهم وذوهم؟ إن كان كذلك فنحن نعترف بهذه الجريمة!! وتزعمون أننا نخطم أقدس الأواصر والصلات بابدالنا التربية في العائلة بالتربيه في المجتمع...).^(٣٦).

فها هما ماركس وأنجليس صريحان في الدعوه الى هدم العائلة، وقطع الصلات الأبوية بين الأبناء وآبائهم، وتدمير صلات الرحم والقرابة بسبب الإباحية وانعدام العلاقة الزوجية المشروعة، وتحميل المجتمع – أي مؤسسات الدولة – تربية الطفل بعد أن تلقى به أمه بلا أب شرعى معروف.

وبسبب من هذا الفهم الخرافي، والتصور المخالف لنظام الفطرة وقانون الحياة، فشلت الشيوعية في العالم، وبدأت تتراجع، وتنكمش، وبدأت الدول التي تنادي بتطبيق النظرية – الدول الاشتراكية: الصين وروسيا والدول الاشتراكية التابعة – تواجه المشاكل والصعوبات عندما أرادت التطبيق، فقد اصطدمت بالرفض والمقاومة ولم تستطع كل وسائل الإرهاب والدكتatorية إرغام الشعوب الواقعه تحت السيطرة الشيوعية على قبول هذه المبادئ الخرافية وتنفيذها.

٣٦ – ماركس، آنجليس، بيان الحزب الشيوعي (ص ٧٣) مختارات في أربعة أجزاء – دار التقدم – موسكو.

وليس الشيوعية وحدها هي التي دعت إلى الاباحية الجنسية، بل وفي الحضارة المادانية الرأسمالية نشأت فلسفات تحمل نفس الفلسفة والمفهوم الجاهلي عن الجنس والمرأة والزواج مع اختلاف في كيفية التفسير، فبدلاً من التفسير الاقتصادي الذي قدمته الماركسية لفسر به نشوء الأسرة والعلاقة الزوجية وسائر نشاطات الإنسان الأخرى... قدم فرويد — وهو من أبرز علماء النفس في الحضارة الرأسمالية — تفسيره الجنسي لنشوء الأسرة والمجتمع والنشاط الإنساني بأسره... وانتهت النظريتان إلى النتيجة ذاتها... رغم اختلاف المنطلق، وقبح التفسير.

فهذا فرويد يرى أنَّ غريزة الجنس هي الدافع الوحيد لبناء الأسرة والضرورة الوحيدة لتكوين العلاقة بين الرجل والمرأة،^(٣٧) وليس هذه النظرية هي الدعوة الوحيدة للاباحية الجنسية في الحضارة الرأسمالية، بل وهناك دعوات ونظريات مادية إباحية تدعوا إلى نفس الفلسفة والافكار.

لذلك نشاهد الاتجاه في هذه الحضارة يسير نحو الاباحية وهدم الأسرة وفك روابطها، والاكتفاء بالاشباع الجنسي بأية طريقة كانت،

٣٧ — على الرغم من التعديل الذي أدخله فرويد على نظريته نتيجة لعجزها عن تفسير النشاط الإنساني... فإنَّ العامل الجنسي يبقى في نظريته هو محور الحركة في نشاط الإنسان واتجاهه النفسي.

ولو عن طريق اللواط أو الحيوانات والوسائل الصناعية. وقد مررت علينا آنفًا أرقام واحصائيات تشهد بذلك.

أما الإسلام العظيم فيرى الأسرة هي خلية البناء الأساسية في هيكل المجتمع، وأنها تقوم على أساس فطرية تكوينية، ونظام متقن، فهي حاجة، لا يستغني الفرد والمجتمع عنها... وأن هدم العائلة معناه هدم القانون الطبيعي للحياة الاجتماعية.

فالإنسان بطبيعته يحتاج إلى الإنسان بالآخرين والمجتمع معهم، وإنَّ بين الرجل والمرأة عملية تكامل نفسي، هي غير الإشباع الغريزي... يُسبِّب فقدُها الشعور بالوحشة، والاحساس بالقلق والتوتر، والألم النفسي، عنده كل واحد منها، ولا يمكن التعبير عن هذه المشاعر، مشاعر الحب والشوق إلى الجنس الآخر، والتخلص من الآثار النفسية المؤللة عن طريق الإشباع الغريزي وحده، كما تصور المفاهيم المادية والنظريات الاباحية ذلك.

وقد صور القرآن الكريم هذه الأسس النفسية، والدواعي الفطرية لبناء الأسرة بقوله:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»

(الروم - ٢١)

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكَنَ

(الأعراف – ١٨٩)

لذلك نشاهد كل دعوات هدم العائلة، والتركيز على الجانب الغريزي قد تراجعت إلى الوراء، وسجلت فشلها لتشهد بعظامه القانون الاهلي، وتفاهمه الاتجاهات الجاهلية المعاكسة.

فالشيوعية التي كانت تعتبر العائلة مظهرا من مظاهر المجتمع البرجوازي، ونادت بهدمها وكرست لذلك كل جهودها، اضطررت إلى التراجع والاقرار بالأسرة...

وفي ألمانيا و ايطاليا سعى كل من هتلر، و موسوليني، لوضع جوائز تشجيعية للمرأة التي ترك العمل و تعود إلى العناية بالأسرة.

وفي دول كثيرة من العالم الاوربي والأمريكي والشيوعي بدأت المرأة تشعر بالمرارة من نظام الحياة المفروض عليها، وترغب في الحياة الاسرية، و العيش مع الزوج و الأبناء تحت شجرة الحنان والاستقرار الوارفة...

ولعل من المفيد هنا أن نسجل نماذج من هذا الاتجاه كما ورد في بعض التقارير التي سجلتها الدوائر المختصة، ونذكر منها ما جاء في أحد التقارير:

(في ألمانيا تعمل أكثر من مليون أم خارج البيت، وكانت نتيجة الاستفتاء العام الذي وجه اليهن أن: ٧٢٪ منهن مصابات بالعصاب، و

حالات الضعف العام واحتلال الدورة الدموية والأمراض القلبية، و٦٩٪ منهاً عندما يرجعون إلى البيت ليلاً لا يستطيعون أن يقمن بأي عمل. من شدة الإرهاق، والتعب الذي يصيبهن في ساعات العمل، فيذهبن إلى فراشهن للنوم، و٤٣٪ من الأمهات اللواتي وجه اليهن السؤال كنّ قد راجعن الأطباء للعلاج في ذلك العام) (٣٨).

و جاء في تقارير أخرى تؤكد شعور المرأة بالحاجة إلى الأسرة، والرغبة في حياة الزوجية والاستمتاع بنعمتها، بعد أن فاست آلام الابتعاد عن الأسرة، وذاقت شقاء الوحشة والحرمان من حب الزوجية، وحنان الأمومة، ودعة الحياة في ظلّ الأسرة السعيدة: (انزعجت السلطات التعليمية في اسكتلندا بسبب موجة الزواج التي تتصف بالمدرّسات، فقد تبيّن أنه خلال عام ١٩٦٠ عينت (١٥٦٣) مدرسة في اسكتلندا، وفي نهاية العام الدراسي تركت (١٠٠٠) منهاً الوظيفة للزواج، وقالت السلطات إنَّ الزواج يهدى النظام المدرسي) (٣٩).

(وكانت نتيجة الاستفتاء الذي قام به معهد (غالوب) في أمريكا بين النساء العاملات: أنَّ المرأة متيبة الآن وتفضل ٦٥٪ من نساء أمريكا العودة إلى منازلهن، كانت المرأة تتوقّم أنها بلغت أمنيتها. أمّا

٣٨ — محمد مهدي الآصفي — نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم — ص .٨٢

٣٩ — الدكتور مصطفى السباعي — المرأة بين الفقه والقانون — ص ٢٥٧

اليوم وقد أدمت عشرات الطريق قدمها و استنزفت الجهد قواها، فأنها
تود الرجوع الى عشها، والتفرّع لاحتضان فراخها^(٤٠).

لذلك دعا الاسلام الى الزواج، وبناء الاسرة، و اهتم بتقوية
روابطها، و تمتين بنائهما، لأنها المحيط الطبيعي لسعادة الفرد، و مستقرّ
راحته و مصدر سعادته ...

منهج الاسلام في بناء الاسرة

من دراستنا لرأي الشريعة الاسلامية، وتحليل أفكارها وأحكامها وقيمها الخاصة ببناء وتنظيم هذا المشروع الحضاري الضخم (الاسرة) نستطيع أن نصنف خطواته الى خطوتين اساسيتين هما:-

١ - الدعوة الى بناء الاسرة.

٢ - تنظيم الروابط الاسرية.

واما لا لأهداف البحث فلتتناول كل خطوة من هاتين الخطوتين

بشيء من البيان والتوضيح:-

* الدعوة الى بناء الاسرة:-

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتُسْكِنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»
(الروم - ٢١)

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكِنَ إِلَيْهَا»
(الأعراف - ١٨٩)

«فانكحوا ما طاب^(٤١) لكم من النساء...» (النساء - ٣)

من استقرائنا لاستعمالات اللغة العربية لكلمة زوج وزواج، ونكاح، نستطيع أن نفهم المداليل النفسية والروحية والاجتماعية والعضوية التي تضمنها مفهوم الزواج في الشريعة الإسلامية، وندرك سبب استعمال القرآن بكلمة (زوج) كاسم للمرأة والرجل المفترضين بعلاقة شرعية واستعماله بكلمة (نكاح) كاسم (العملية الاقتران، وعلاقة الاستمتاع الشرعية بين الزوجين).

في لغة العرب يقال: (زوج الشيء بالشيء قرنه به، وزواجه خالطه وقارنه).

ويقال (نكح المطر الأرض: اختلط بثراها).

و (تناكحت الأشجار: إنضم بعضها إلى بعض).

وبالعودة ثانية إلى قواميس اللغة والبحث عن معنى المخالطة، المنطوي مفهومه في ضمير كلا الكلمتين (زوج ونكاح) نجد أنّ:
معنى (خلط الشيء بالشيء ضمه إليه، ومزجه به، وخالطه مازجه وداخله).

و بالوقوف على معنى (قرن) الذي انطوت عليه كلمة (زوج) نجد أنّ المقصود به هو الربط والوصل. في قواميس اللغة (قرن الشيء بالشيء ربطه ووصله به).

٤١ — ما طاب لكم: ما أحل لكم.

و هكذا يوصلنا الفهم اللغوي لمعنى (الزواج و النكاح) المستعمل في مصطلح الشعـر الى اكتشاف المضامين الانسانية الكبـرى التي تنطوي عليها العلاقة بين الرجل و المرأة في عـرف الاسلام و مفهومـه و هي: (الضم، المزج، الربط، الوصل).

و اذن فعملية الزواج في عـرف الاسلام و مفهومـه هي: عملية تفـاعل، و تمازج، و ارتباط نفـسي و روحي، و ضـم الفردـين (الرجل و المرأة بعضـها الى بعض) ليـصبحـا زوجـا.

فالزوج في اللغة: الفـرد الذي له قـرـين يـشاـكلـه، و لو لا هذا القرـين ليـقـي كلـ واحد منها فـرـدا لا يـمـلـك الزوج المـشاـكـيلـ لنـوعـه في هذا الـوـجـود، و لـظـلـ يـشـعـرـ بالـفـرـاغـ و الـآـلـمـ الـبـعـدـ عنـ زـوـجـهـ، و لـقـيـ يـبـحـثـ و يـعـشـ بـصـورـةـ فـطـرـيـةـ الانـضـامـ الىـ ذـلـكـ الزـوـجـ الذـيـ يـخـرـجـهـ منـ سـجـنـ الفـرـديـةـ المـوـحـشـ، و يـمـلـأـ فـرـاغـاتـ الحـبـ وـ الحـنـانـ وـ الشـوـقـ فيـ نـفـسـهـ.

و قد رسم القرآن الكريم لـوـحةـ الحـبـ، وـ العـلـاقـةـ بـيـنـ الزـوـجـيـنـ، بـأـدـاءـ لـفـظـيـ جـيـلـ وـ بـأـسـلـوبـ مـعـبـرـ عنـ الـحـقـيـقـةـ الـانـسـانـيـةـ الـمـنـطـوـيـةـ فيـ هـذـهـ العـلـاقـةـ «وـ مـنـ آـيـاتـهـ أـنـ خـلـقـ لـكـمـ مـنـ أـفـقـسـكـمـ أـزـوـاجـاـ لـتـسـكـنـواـ إـلـيـهـاـ وـ جـعـلـ يـنـكـمـ مـوـذـةـ وـ رـحـمـةـ، إـنـ فـيـ ذـلـكـ لـآـيـاتـ لـقـوـمـ يـتـفـكـرـونـ». (الروم - ٢١)

فـصـوـرـهـاـ عـلـاقـةـ (ـسـكـنـ)ـ وـ (ـوـدـ)ـ وـ (ـرـحـمـةـ)، وـ جـعـلـ السـكـنـ هوـ الطـمـائـنـيـةـ وـ الـاسـتـقـرـارـ الذـيـ يـفـتـقـرـ اـلـيـهـ الفـرـدـ -ـ الرـجـلـ وـ المـرـأـةـ -ـ عـنـدـمـاـ يـكـونـ بـعـيـدـاـ عـنـ زـوـجـهـ، لـذـاـ فـهـوـ لـاـ يـنـعـمـ بـسـعـادـةـ الـوـدـ وـ الـحـبـ وـ الـحـنـانـ وـ

الشفقة، الا في ظلله، و الا بالانضمام اليه، و الاقتران به، من ذلك نفهم أنَّ الزوجية في عرف القرآن: ليست رقاً رياضياً يتكون من ضمَّ الرجل إلى المرأة، بل هي عملية حذف الفردية، بمعناها النفسي و العضوي، وبهدفها النوعي و الاجتماعي، بالالتقاء و التكامل الفطري بين الزوجين، لتممازج و تتفاعل و تتواصل و ترتبط كلَّ الوشائج و الأحساسات النفسية و البيولوجية ليتَّم التكامل النفسي و البيولوجي بينهما، فتعود الإنسانية المنشطرة بينها إلى وحدتها الائتلافية في شخصيتها، ليكونا أساساً لاستمرار البقاء و توالد النوع البشري، فالإنسانية التي تنمو و تخصب و تمارس نشاطها الحيَّ هي الكل التكامل من ائتلافهما و ارتباطهما، و بدون ذلك ، تبقى الإنسانية مبعثرة لا تستطيع أن تواصل البقاء:

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكِنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ، فَلَمَّا أَنْقَلَتْ دَعْوَةَ اللَّهِ رَبِّهِمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَاكِرِينَ».

(الأعراف – ١٨٩)

لذا كانت دعوة الإسلام إلى الزواج و بناء الأسرة هي دعوة تشريعية و حضارية للحفاظ على الأهداف الطبيعية و الاجتماعية للحياة البشرية.

و الذي يتبع الدعوة إلى الزواج في الإسلام، ويستقرُّ نصوصها و

ماهيمها يدرك أهمية هذه العلاقة الإنسانية، وعنابة الإسلام بها، ويكشف أهميتها وقدسيتها في الحياة...

فقد تناول القرآن في آيات كثيرة علاقة المرأة بالرجل وفسر العلاقة بينها، ووضح الحقوق والواجبات لكل منها، وقد ورد هذا الحديث في أكثر من ثمانين آية تحدثت عن الزوجية والنكاح والتّمتع وحب النساء والعلاقة بهن... الخ.

و القرآن عندما يتحدث عن الزواج والزوجية، يعتبر العلاقة الزوجية علاقة كونية عامة تسري على الوجود بأسره، وتشمل كل شيء في هذا الكون، ذراته ونباته، وحيوانه وانسانه... الخ، على أساس علاقة الجذب والشوق والارتباط بين كل زوج في هذا الوجود، لاكمال نظامه، وحفظ مسيرته...

وقد أوجز القرآن نظام الزوجية الكوني العام بقوله:
«وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

(الذاريات - ٤٩)

ليفهم كل من المرأة والرجل علاقته بزوجه على أساس وعي كوني عام، يتحظى حدود اللذة والحس الغريزي العابر إلى الفهم الزوجي والقانوني العام للعلاقة الزوجية...

و اذا انتقلنا من القرآن الحكيم إلى السنة المطهرة، فسنجد لها حافلة بالبيان والحديث عن مختلف جوانب الزوجية، وعلاقة الزوجين، حتى

ما يدور بينها في الخلوة، ولحظات الاستمتاع والتقارب الجنسي.
ولنتناول في موضعنا هذا شواهد من السيدة ترتبط بالزواج وبناء
الاسرة، فنذكر منها:

روي عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال:
قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):
(تزوجوا وَزَوْجُوا، الْأَفَقِينْ حَظَ امْرَئٍ مُسْلِمٍ اِنْفَاقٌ قِيمَة
أَيْمَةٍ)^(٤٢)، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر في
الاسلام بالنكاح، وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت
يخترب في الاسلام بالفرقة)^(٤٣).

ثم أوضح الامام الصادق(ع) معقبا على هذا الحديث بقوله:
(ان الله عز وجل انها وكمد في الطلاق وكرار فيه القول من
بغضه الفرقة)^(٤٤).

وروي عن أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب(ع) أنه قال: قال
رسول الله(ص):

(من أحب أن يتبع سنتي فأن من سنتي التزوج)^(٤٥).

٤٢ — الأيمة = المرأة التي لا زوج لها.

٤٣ — الكليني — الفروع من الكافي — ج ٥ — ص ٣٢٨.

٤٤ — المصدر السابق. الفرقة = الطلاق.

٤٥ — المصدر السابق — ص ٣٢٩.

و روی الصادق(ع) عن آبائه عن رسول الله: (رذال موتاکم العزاب)^(٤٦).

و روی: (من تَرَّقَّجَ أحرز نصف دینه، فلیتیق الله في النصف الآخر)^(٤٧).

و روی عن الامام الصادق(ع)، انه قال: (ان امرأة الصحابي الجليل عثمان بن مظعون جاءت الى رسول الله(ص)، فقالت: (يا رسول الله ان عثمان يصوم النهار ويقوم الليل) فخرج رسول الله(ص) مغضبا يحمل نعلية حتى جاء الى عثمان، فوجده يصلّي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله(ص) فقال له: يا عثمان لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن يعني بالحنفية السهلة السمحاء، أصوم وأصلّي وأمس أهلي^(٤٨)، فمن أحب فطرتي فليست بستي، ومن ستي التزويج)^(٤٩).

فهذه المنظومة من الأفكار و المفاهيم و قواعد التشريع التي وردت في القرآن الكريم، والستة الشريفة، حملت اليها الوضوح الكامل للقيم الانسانية و الفهم السليم للزواج، و الدعوة الى بناء الاسرة و تكوينها،

٤٦ — المصدر نفسه.

٤٧ — المصدر نفسه.

٤٨ — ألس أهلي = يعني أجمع زوجي.

٤٩ — المصدر السابق — ص ٤٩٤.

لأنها عش السعادة وذراع الحب، وحجر الحنان الذي يجمع أفراده، ويفيض عليهم أحاسيس الود والرحمة من زوج وزوجة، وأبناء وأرحام... الخ.

و هذا البناء الحضاري الشامخ - الاسرة - ليعبّر عن أحاسيس الفطرة، وأشواق النفس، و حاجتها الطبيعية للاجتماع والألفة والرعاية في الحياة، لذلك نجد الرسول الحكم (ص) غضب من هجر عثمان لزوجته، وراح يشرح له موقف الاسلام، ويؤكّد بأنه ضد الرهبانية التي تدعو الى هدم الزواج، وتدمير النوع البشري، ومعاداة الفطرة الانسانية، ونظم الحياة الطبيعي... ولذلك نجد في هذا الموقف، وفي مواقف أخرى يؤكد أنّ من سنته وقانون شريعته (الزواج)، لأنّ شريعته الاهمية السمحاء شريعة حنيفة.

أي بعيداً عن الشذوذ والانحراف، منسقة مع منطق الوجود الانساني ونظام الفطرة الطبيعي، لذلك اعتبر العزوبة رذيلة، والزواج اكمالاً لنصف الدين، لأنّه تنظيم للغرائز والميل والنشاطات والمارسات التي تؤثّر في نصف السلوك... سواء في المجال الغريزي أو النفسي أو الاجتماعي، أو الاقتصادي أو الأخلاقي العام... الخ.

ولكي يحقق الاسلام أهدافه بشكل متناسق، وغير متعارض، بخلاف إزالة العقبات والموانع التي اصططعها المجتمع بعيد عن مبادئ الایمان، لئلا تصطدم القيم الاجتماعية المختلفة بالقانون الطبيعي للحياة،

ولئلا يكون هناك عوارض نفسية، أو اعتبارات اجتماعية تحول دون بناء الاسرة، و إنشاء العلاقات الزوجية، فحطم كلّ موانع الطبقية و العنصرية وأمثالها من الفوارق الجاهلية الأخرى... واستبدلها بقيم إنسانية و اعتبارات موضوعية مشروعة.

كما هذب نظام المهر و حارب المغالاة فيه لئلا يكون حاجزاً مادياً، و مانعاً من انتشار الزواج و إقامة الاسرة.

ولتنصت للقرآن الحكيم و هو يحدّثنا عن مبادئه و قيمه الانسانية في

الزواج:

«وَانْكِحُوا الْأَيَامِيٍّ^(٥٠) مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ^(٥١) وَإِمَائِكُمْ^(٥٢) إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءٌ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^{*} وَلِيُسْتَغْفِفِ الظِّنَّ لَا يَعْدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالذِّينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ^(٥٣) مَا مَلَكَتْ^(٥٤) أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ

٥٠ - و انكحوا ايامى منكم = زوجوا من لا زوج له من الرجال و النساء منكم.

٥١ - عبادكم = عبيدكم.

٥٢ - امائكم = جمع أمة، وهي المرأة المملوكة.

٥٣ - الكتاب = المکاتبة و الاتفاق على التحرير، مقابل قدر محدد من المال بين العبد وسيده.

٥٤ - ملكت أيامكم = العبيد.

إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا، وَآتُوهُم مِّنْ مَا لِلَّهِ الَّذِي آتَكُمْ وَلَا
تُكَرِّهُوْ فِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحْصُنَا لِتَبْغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الْدُّنْيَا وَمَنْ يُكَرِّهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

(النور - ٣٢ - ٣٣)

«وَلَا تُنَكِّحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ، وَلَا مُهَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ
مُشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجِبُكُمْ، وَلَا تُنَكِّحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا، وَلَعَبْدُ
مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكٍ وَلَا أَعْجِبُكُمْ، أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَ
اللَّهُ يَدْعُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَذْنِهِ، وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لِعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ».

(البقرة - ٢٢١)
فالآيات واضحة في الحث على الزواج، والدعوة إلى إلغاء الفوارق
الطبقية والمالية ومكافحة البغاء والاباحية.

فلا المال ولا الطبقة ولا اللون بل ولا الجمال الحسي يصلح لأن يكون عقبة في طريق الزواج، إنما المقياس هو الصلاح والتقوى وحسن الخلق ، فتلك قيم الاسلام ومبادئه التي يستمدّها من روحه الانسانية ، ونظرته الموضوعية للنوع البشري ، وحقيقة النشاط والظواهر الاجتماعية ، و الى جانب القرآن الحكيم ، قامت السيدة النبوية المطهرة بدور بارز في تعميق هذه المفاهيم ، وتأكيد تلك القيم نقيس منها:-

(كتب علي بن اسياط الى الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في أمر بناته، وانه لا

يجد أحداً مثله، فكتب إليه أبو جعفر(ع) : فهمت ما ذكرت من أمر بناتك، وإنك لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمة الله، فإن رسول الله(ص) قال: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) (٥٥).

و ضرب رسول الله لذلك مثلاً حينما فزوج زيد بن حارثة – و كان ملوكاً له – زينب بنت جحش بنت عمته – بنت عمدة رسول الله – و هي من أشرف النساء نسباً، وأكثرهن جمالاً، ثم تزوجها رسول الله(ص) بعد أن طلقها زيد... .

وزوج رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ضياعة بنت الزبير بن عبد المطلب سيد قريش – وهي بنت عم الرسول – من المقداد بن الأسود، وهو لا يرقى إليها شرفاً، ولا نسباً وفق الاعتبار الاجتماعي المأثور.

وقد جاء حديث الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) شرعاً و توضيحاً لهذا الموقف حين قال: (إنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) زَوْجُ الْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ضَيَاعَةً بْنَ الزَّبِيرِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا زَوْجُهَا الْمَقْدَادَ لِتَتَضَعَّفَ الْمَنَاكِحَ) (٥٦). وليتأسوا برسول الله(ص)، و

٥٥ - الكليني - الفروع من الكافي - ج ٥ - ص ٣٤٧

٥٦ - لتتضعف المناكح = ليتعلّم الناس التنازل في الزواج، ويبتعدوا عن مشاعر الكبراء والتعالي.

لتعلموا أنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وَكَانَ الزَّبِيرُ أخَا عَبْدَ اللَّهِ
(أبوالنبي) وَأَبِي طَالِبٍ لِأَبِيهَا وَأَمْهَا^(٥٧).

وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ(ص) زَيْدُ بْنُ لَبِيدٍ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي بَيَاضَةِ، وَمِنْ
وَجْهَاءِ الْأَنْصَارِ وَنَبِلَائِهِمْ أَنْ يَزْقُجَ ابْنَتَهُ الْذَّلِفَاءِ، ذَاتِ الشَّرْفِ وَالْجَمَالِ
وَالْمَكَانِ الْاجْتِمَاعِيِّ الرَّفِيعِ، بِجُوبِرِ الصَّحَابِيِّ الْفَقِيرِ، الَّذِي كَانَ يَعِيشُ
عَلَى الصَّدَقَاتِ، وَسَطَ جَمْعًا مِنَ الْفَقَرَاءِ الْغَرَبَاءِ الَّذِينَ لَا أَهْلٌ لَهُمْ وَلَا
مَالٌ، فِي سَقِيفَةِ بَنَاهَا لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ(ص) تَدْعُى — الصَّفَةِ — لِيقيِّيمُوا
فِيهَا.

وَقَدْ بَدَأَتْ قَصَّةُ زَوْاجِ جَوَيْبَرٍ بِحُوارِ جَمِيلٍ لِرَسُولِ اللَّهِ(ص) مَعَ هَذَا
الصَّاحِبِيِّ الْجَلِيلِ، حِينَ قَالَ لَهُ:

(يَا جَوَيْبَرُ لَوْ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً، فَعَفَّفْتَ بِهَا فَرْجَكَ، وَأَعْانَتْكَ عَلَى
دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ، فَقَالَ لَهُ جَوَيْبَرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَنْتَ وَأَمِي مِنْ
يَرْغَبُ فِي؟ فَوَاللهِ مَا مِنْ حَسْبٍ، وَلَا نَسْبٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَا جَمَالٍ، فَأَيْتَهَا
امْرَأَةٌ تَرْغَبُ فِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ص): يَا جَوَيْبَرُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ
بِالاسْلَامِ مَنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ شَرِيفًا، وَشَرْفًا بِالاسْلَامِ مَنْ كَانَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ وَضِيَّعًا، وَأَعْزَّ بِالاسْلَامِ مَنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ذَلِيلًا، وَ
أَذْهَبَ بِالاسْلَامِ مَنْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَفَاخَرَهَا بِعَشَائِرِهَا، وَبَاسَقَ
أَنْسَابَهَا، فَالنَّاسُ الْيَوْمَ كُلُّهُمْ، أَبِي ضَهْمٍ، وَأَسْوَدِهِمْ، وَفَرْشِتِهِمْ، وَ

عربهم، وأعجميهم، من آدم، وآدم خلقه الله من طين، وان أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيمة أطوعهم له وأنقاهم...^(٥٨)، ثم أمره أن يذهب إلى زياد بن لبيد فيطلب يد ابنته وحين سمع زياد قول جوير لم يكدر يصدق ورده في بادئ الأمر إلا أن ابنته الدلفاء اعتبرضت على موقف أبيها من طلب رسول الله(ص)، وعلى رده لجوير، فتراجع عن موقفه، وزوجها من جوير.

وفي حياة أهل البيت وأحفاد رسول الله(ص) وهم أئمة المسلمين، وسادة العرب، تجد التجسيد الحي لهذه المبادئ ، والتسامي الرفيع نحو تلك القيم ...

فقد روی عن الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حوار رائع، و موقف عقائدي فدّ، جرى بينه وبين الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان الذي كان يبذل جهده لمقاومة الامام علي بن الحسين(ع)، والنيل من مقامه ومكانته ومن طريق ما يروى أنه: (كان لعبد الملك ابن مروان عين بالمدينة، يكتب اليه بأخبار ما يحدث فيها، وان علي بن الحسين(ع) أعتق جارية، ثم تزوجها، فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين(ع)):

(أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك ، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا

.٣٤١ — المصدر السابق — ص

لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت و السلام).
 فكتب الامام علي بن الحسين(ع) : (أما بعد فقد بلغني كتابك،
 تعقني بتربيجي مولاي وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجده
 به في الصهر، وأستنجبه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله(ص)
 مرق في مجد، ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يمسي خرجت
 متى بأمر أنت به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكيًا في
 دين الله فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالاسلام
 الخسيسة، وتمم به النقيصة، وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ
 مسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام) ^(٥٩).

فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب بہت، وألقاه إلى ولده
 سليمان، وعلم أنّ عاولة النيل من الامام(ع) قد فشلت، فقرأ سليمان
 الكتاب وقال لأبيه: (يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك عليّ بن
 الحسين(ع) فقال له عبد الملك: يا بني لا تقل ذلك فإنه السن من في
 بني هاشم التي تغلق الصخر، وتعرف من بحر، إنّ عليّ بن الحسين يا
 بني: يرتفع من حيث يتensus الناس) ^(٦٠).

و هكذا أزاح الاسلام أنحطط العقبات وأكثرها إعاقة و تعارضًا مع
 روحه الانسانية، ونظريته الواقعية.

٥٩ — المصدر السابق — ص ٣٤٤ — ٣٤٥.

٦٠ — المصدر نفسه.

و كما عالج الاسلام هذه العقبة الاجتماعية، واستأصل هذا التصور الجاهلي المتخلّف، راح يعالج مشكلة مادية تساهم هي الأخرى وبشكل فعال – في إعاقة الزواج، وتحول دون بناء الأسرة، وهي مشكلة غلاء المهر.

فالاسلام، بعد أن حدد مفهومه ونظرته للزواج، وقرر أنه علاقة كونية، ونظام طبيعي، يمارس الانسان فيه عملية الاختيار والارتباط التشريعي، ونظر الى المهر^(٦١) نظرة ثانوية، وارتفاع بالعلاقة الزوجية فوق الأرباح والمنافع المادية، فحطم كل المفاهيم التي جعلت المهر ثمناً للمرأة، وصنعت من تكاليف الزواج المادية عقبة في الطريق، وجعل رضاء الطرفين – الزوج والزوجة – ركني العلاقة الزوجية، وسبب إنشاء الزواج، وليس المال الاهبة أو منحة يقع العقد الشرعي عليه، فتذكر وتسمى عند إنشاء العقد، ولم يحدد الاسلام مقداراً محدداً من المال، بل أجاز انشاء عقد الزواج على أقل مهر ترضي به المرأة... ولو كان درهماً أو أقل من ذلك ، كما أجاز الاسلام أن يكون المهر منفعة... كأن يعلم الزوج زوجته القراءة، أو يحفظها سورة من القرآن، أو يعلّمها لغة أو مهنة معينة... الخ.

كل ذلك تيسيراً للزواج، ومحذفاً لكل العقبات التي قد تعرّضه، و

٦١ – المهر = هو مقدار من المال يمنع للزوجة بمقتضى عقد الزواج عند إنشائه بين الزوج والزوجة.

أول هذه العقبات غلاء المهر، الذي صار في مجتمعنا الحاضر سبباً في العزوبة، وعقبة خطيرة في طريق الزواج، بعد أن نشأت مفاهيم جاهلية متخلفة عن المهر و كلفة الزواج، وما يقتضى للزوجة من مهر و هدايا، وخصوصاً بعد ارتفاع تكاليف الحياة و تحديد دخل الفرد.

و كجزء من منهج الاسلام الذي جاء ليحل مشاكل الانسان، ويبني حياته على اليسر والنظام... كجزء من هذا المنهاج جاءت المقاومة الصريحة لغلاء المهر و كراهية الاسلام لها و حتى المسلمين على تحفيض المهر ليكون بأقل قدر ممكن.

فقد روي عن رسول الله(ص) أنه قال: (**أفضل نساء أمتى أصبحن وجهها، وأقلهن مهرا**)^(٦٢).

و روی أيضاً: (**ان من برکة المرأة فلة مهرها**)^(٦٣).

و روی أيضاً: (... **فأقما المرأة فشومها في غلاء مهرها و عسر ولدها...**)^(٦٤).

ولقد كانت فاطمة بنت رسول الله(ص) المثل الأعلى في فلة المهر ويسر الزواج، فقد تزوجت الامام عليأ(ع) بمهر يسير متواضع، سجله التاريخ بفخر و اعتزاز على الرغم من أن فاطمة هي بنت رسول الله(ص)

٦٢ - الحز العاملی - وسائل الشيعة - ص ٧٨ ط ٤.

٦٣ - المصدر السابق - ص ٧٩.

٦٤ - المصدر السابق - ص ٧٨.

وسيدة نساء العالمين، وكان بإمكان أبيها أن يوفر لها من المال ما تنافس به نساء القياصرة والأكاسرة، إلا أن هدفه كان أسمى من ذلك، وعظمة فاطمة وزوجها أجل من المال والأثاث وعرض الحياة الدنيا... .

وقد حدثنا التاريخ وحفظ لنا هذه الصورة الرائعة بكل اجلال وعظماء، فقد روى المؤرخون أنَّ الرسول(ص) حين أراد تزويع الإمام علي(ع) من فاطمة سأله: (هل معك شيء أزوجك به؟). .

فأجاب الإمام أنه يملك سيفاً ودرعاً وبعيراً فقط، ثم اتفق مع الرسول(ص) على بيع الدرع... فباعه بأربعمائة وثمانين درهماً ثم جاء بالثن، فسلمه لرسول الله(ص) فقبل رسول الله المبلغ المتواضع وكلف جماعة من الرجال والنساء بشراء الجهاز والأثاث والمستلزمات الضرورية للزواج^(٦٥).

فكان أهمتها:

- ١ — فراش من خيش مصر محشو بالصوف.
- ٢ — وسادة من أدم، حشوها من ليف النخيل.

٦٥ — المشهور أنَّ مهر فاطمة(ع) كان خمسماية درهم، وتدلَّ عليه خطبة علي(ع) عند تزويجه بفاطمة (... وهذا رسول الله زوجني ابنته فاطمة على خمسماية درهم فاسألوه وأشهدوا...) السيد محسن الأمين/المجالس السنوية — المجلد

- ٣ — عباءة خيرية.
- ٤ — قربة للماء.
- ٥ — كيزان خزف.
- ٦ — جرّتان خزف.
- ٧ — مطهرة للماء.
- ٨ — ستر صوف رقيق.
- ٩ — سرير مشروط.
- ١٠ — حصیر هجري.
- ١١ — منضب من نحاس.
- ١٢ — قعْب لِبَن.
- ١٣ — قيص.
- ١٤ — شَنَ للماء.
- ١٥ — منخل.
- ١٦ — منشفة.
- ١٧ — رحى.
- ١٨ — قدر من نحاس.
- فـكـانـتـ هـذـهـ صـورـةـ الـبـيـتـ الـجـدـيدـ،ـ وـتـلـكـ كـلـفـتـهـ المـتوـاضـعـةـ،ـ كـلـ
- ذـلـكـ لـيـضـرـبـ رـسـوـلـ اللهـ(صـ)ـ الـمـثـلـ الـأـعـلـىـ،ـ وـيـجـسـدـ الـمـبـادـىـ حـيـاةـ وـ
- عـمـلـاـ.

١ – كيف يبدأ البناء:

الاسرة ذلك البناء الانساني الشامخ الذي يقوم على أسس قانونية و روابط إنسانية، وأخرى غريزية طبيعية... هذا البناء الانساني الخاطئ مهدد الاسلام لقيامه: بخطوات تحضيرية أساسية، وأخرى بنائية... فاما التحضيرية فهي:

١ – الحث على الزواج وتيسيره – كما بيّنا – ولا حاجة بنا لاعادة الحديث.

٢ – كيفية الاختيار، اختيار الزوج والزوجة، ونظرًا لما لهذا الجانب من أثر وخطورة على حياة كل من الزوجين، ومستقبل الاسرة والأبناء، لذلك فقد اعتنى به الاسلام عنابة فائقة، وثبتت الاسس و المواقف الأخلاقية والجسدية والسلوكية الحميدة التي حبب لكل من الزوجين انتخابها، و اختيار الزوج الذي يتمتع بها، كما دعاه من جهة أخرى الى كراهيته بعض الصفات الذميمة و دعاه الى الابتعاد عن الاقتران مع من كان مصاباً بها.

فقد دعا الاسلام الرجل الى اختيار المرأة العفيفة الودود، الحبيب ذات الخلق والدين وال التربية الصالحة، التي تنتهي الى اسرة عرفت بالشرف والعفة وحسن الخلق و تتمتع بشخصية محترمة في اسرتها، و اهلها، و الى جانب هذه القيم والمواصفات الانسانية لم ينس الاسلام العناية بعنصر الجمال، و حسن المظهر، و الخصائص الجسدية المحببة في

المرأة، الا أنه لم يعط هذه الخصائص و الصفات الأولوية على الصفات الأخلاقية و السلوكية، بل جعلها بالمرتبة الثانية من مواصفات الزوج و الزوجة الصالحة.

و تشرق السنة النبوية بعنوانين كثيرة، و تزخر بأحاديث جليلة، تتحدث عن هذا الجانب الخطير في كلّ من المرأة والرجل.

نذكر منها قول الرسول الكريم: (إياكم و خضراء الدمن، فقيل يا رسول الله: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت سوء) ^(٦٦).

(إختاروا لنطفكم، فإنّ الحال أحد الضجيعين) ^(٦٧-٦٨).

(اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، فإنّ فعاهن أحرى أن يكن حسنا) ^(٦٩).

(انكح، و عليك بذات الدين تربت يداك...) ^(٧٠-٧١).

(تزوجوا بكرًا ولو لدوا ولا تزوجوا حسناء جبالة عاقرا) ^(٧٢).

٦٦ — الحز العاملي — وسائل الشيعة — ج ٧ — ص ٢٩.

٦٧ — اشارة الى انتقال الصفات الوراثية من اسرة الزوجة الى ابنائها.

٦٨ — المصدر السابق — ص ٢٨.

٦٩ — المصدر السابق — ص ٣٧.

٧٠ — المصدر السابق — ص ٣٠. ٧١ — تربت يداك = يعني ان لم تفعل تخسر.

٧٢ — المصدر السابق — ص ٣٣.

(الا أخبركم بشرار نسائكم: الذليلة في أهلها، العزيزة مع
بعها، العقيم الحقود، التي لا تتوّع من قبيح، المتبرّجة اذا غاب
عنها بعلها، الحصان معه اذا حضر، لا تسمع قوله ولا تطيع أمره، و
اذا خلا بها بعلها تمنتت منه، كما تمنع الصعبية^(٧٣) عند ركوبها، ولا
تقبل منه عذرا ولا تغفر له ذنبها)^(٧٤).

(إنَّ خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها،
الذليلة مع بعلها، المتبرّجة مع زوجها، الحصان علىٰ غيره، والتي
تسمع قوله، وتطيع أمره، اذا خلا بها بذلت له ما يريد منها، ولم
تبذل كبذل الرجل)^(٧٥).

و عن الإمام علي - ع - :

(تزوجوا سمراء عيناء عجزاء مربوعة فانَّ كرهتها فَعَلَيَّ
مهرها)^(٧٦).

و عن الإمام علي بن الحسين(ع): (اذا اراد أحدكم أن يتزوج
فليسأل عن شعرها كمال يسأل عن وجهها، فانَّ الشعر أحد
الجمالين)^(٧٧).

و كما وضع للرجل المعلم الأساسية لكيفية اختيار الزوجة، حدّد
للمرأة كذلك خصائص الزوج وسماته الإنسانية:

٧٣ — الصعبية = الفرس التبور.

٧٤ — ٧٥ — ٧٦ — ٧٧ — المصدر السابق — ص ١٨ ، ١٤ ، ٣٥ ، ٣٧ .

سئل الامام محمد الباقر - ع - عن تزويج المرأة فقال: (قال رسول الله(ص): اذا جاءكم من ترضون خلقه و دينه فزوجوه، الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض و فساد كبير) ^(٧٨).
وقال رسول الله - ص -: (شارب الخمر لا يزوج اذا خطب) ^(٧٩).

و كتب الحسين بن بشار الواسطي للامام علي بن موسى الرضا - ع - يقول: (ان لي قرابة، قد خطب الي، وفي خلقه سوء، قال: لا تزوجه ان كان سيء الخلق) ^(٨٠).

اما الخطوة الثانية من خطوات تكوين الاسرة فهي الخطوة البنائية - بناء الاسرة - وتتم بإنشاء عقد الزواج بين الرجل و المرأة.
وعقد الزواج (هو اتفاق بين رجل و امرأة مخللة، يبيح لكل واحد منها الاستمتاع بالطرف الآخر).

ولا تتعقد العلاقة الزوجية، ولا يتم العقد الا بعد رضاء الطرفين - الرجل و المرأة -، فرضاء الطرفين هما ركنا العقد، وبهما يتقوم و يكون.

وما تجدر الاشارة اليه هنا: هو أن المرأة هي التي تنشئ العقد، أو

٧٨ - المصدر السابق - ص ٥١.

٧٩ - المصدر السابق - ص ٥١.

٨٠ - المصدر السابق - ص ٥٤.

من يمثلها، وليس الرجل، فهي التي تزوج نفسها، فنها الإيجاب ومنه القبول والموافقة — وهي التي تحدد المهر — مقدار المال الذي يقع عليه عقد الزواج — ولها أن تشترط شروطاً إضافية على زوجها غير حقوق الزوجية التي ينص عليها القانون الإسلامي، كما للرجل أيضاً أن يشترط شروطاً إضافية على زوجته شريطة أن لا يخالف كلّ واحد منها مبدأ شرعاً مقرراً.

ويتم إنشاء عقد الزواج بالصيغة التالية: تقول المرأة للرجل:
زوجتك نفسك بمهر قدره — مائة دينار (مثلاً) — فيجيب الرجل من فوره (قبلتُ).

فإذا نطقت المرأة أو من يمثلها بصيغة العقد وأبدى الرجل أو من يمثله قوله، تَم عقد الزواج بين الرجل والمرأة وقامت العلاقة الزوجية بينهما، وأبيح لكلّ واحد منها من الآخر ما كان محظياً عليه قبل العقد، وشرع لها بناء الأسرة و العلاقات الاسرية، لأن العقد تعbir كاشف عن إرادة الطرفين، و مترجم عن رضاهما، و رغبتهما في الاقتران و النكاح و بناء الأسرة. و هكذا تكون عملية الزواج عملية رضاء و تطابق بين إرادة الرجل و المرأة، و لا ينعقد عقد الزواج و لا تقوم العلاقة الشرعية بينهما بالاكراه، أو بفقدان الإرادة و الرضاء، لأن الزوجية بمعناها الكوني لا تتحقق الا بالتطابق النفسي و الارادي بين الرجل و المرأة.

٢ - الولي وعقد الزواج:

أقر الشارع المقدس تزويج الأب أو الجد — من طرف الأب — ابنه أو بنته الصغارين، واعتبر العقد نافذا، الا اذا كان ضاراً وغير محقق للمصلحة، فهما — الابن والبنت — عندئذ مخيران بين إقرار زواج الأب أو الجد وبين رفضه، عندما يصلان مرحلة البلوغ والادراك.

أما المرأة البالغة الرشيدة، فهي : أمّا بكر و إماثيب^(٨١)، فإن كانت ثيبيا، فليس لأبها أو جدها ولاية عليها، وهي صاحبة الرأي والاختيار، وأما البكر فقد اختلف الفقهاء في دور الأب والجد في تزويجها، واستدل كل طرف على رأيه بروايات وأحاديث من السنة!

وباستقراء هذه الآراء ومتابعتها نجدها ثلاثة:

١ — فرأى يقول أن للأب والجد، أو وصي أحدهما — عند فقد الأب والجد — الولاية على البكر في زواجها، وهذا الرأي يذهب إلى أنّ ولي البكر البالغة الرشيدة^(٨٢) له أن يزوج ابنته من الزوج الكفوء، غير اذنها وموافقتها، ويعتبر تزويجه صحيحًا، وليس لها أن ترفض، أمّا إذا زوجها من غير الكفوء وراعي في تزويجه مصلحته، أو مصلحة غيره،

٨١ — ثيب = متزوجة سابقاً.

٨٢ — الرشيدة = القادرة على التمييز بين ما ينفعها وما يضرها، و الرشد: درجة نضج عقلي تساعد على الادراك السليم للأمور.

ولم يراع مصلحتها فتزوّجها باطل، ولها أن ترفضه.

٢— وفريق آخر من الفقهاء قال بالتشرييك، أي باعتبار إذنها معاً — الأب والجد — أو وصيّها، أما البنت فليس من حق الأب أو الجد أن يزوجها دون أن يستأذنها ويأخذ موافقتها، كما أنه ليس من حقها أن تزوج نفسها دون أن تحصل على موافقة أبيها، فلا يملك أحدهما التصرف المستقل من دون الآخر، بل إن مشروعيّة تصرفه ترتبط بالطرف الآخر، شريطة أن لا يختار الوالي للبنت زوجاً غير كفوء. فان فعل ذلك وأصرّ على رأيه، فلا اعتبار لموافقته وجاز لها أن تزوج نفسها ولو بغير موافقته.

٣— وذهب فريق ثالث من الفقهاء إلى أنّ البكر البالغة الرشيدة، ليس لأبيها ولا لجدها أو وصيّها ولاية عليها وليس لهم حق تزوّجها، كما لا يجب عليها أن تستأذن أحداً يزوجها، بل هي التي تملك تزوّج نفسها، لأنّ الزواج وفق هذا الرأي عقد كسائر العقود، وكما تملك المرأة البالغة الرشيدة حق إنشاء عقود البيع والشراء والتملك، ولهبة الخاصة بها، وليس لأحد أن يمنعها، أو يشاركها في إنشاء هذه العقود، فكذلك الحال بالنسبة للزواج، واستدلّوا على إثبات ذلك بروايات وأحاديث ذكرت في مواضع الاستدلال والاستنباط.

وبمتابعة مواد الاستنباط والوقوف على آراء الفقهاء نجد أنّ الفقهاء جيئاً لم يقصدوا مصادرة إرادتها، أو إيقاع الضرر بها، بل قصدوا حماية المرأة من الاندفاع في مرحلة طف yan الغريرة والمراهقة، وتحمّم الدوافع

الشهوانية، ووقوع المرأة فريسة لاغراء الرجال وشهواتهم وتحويلها الى سلعة للممتعة و الترفيه، لذلك اشترطوا موافقة الأب، أو جعلوا الأمر له ما لم يضررها بتصرفه، أو اشترطوا الرشد و القدرة على الادراك السليم لديها.

و خلاصة القول: ان المرأة ملزمة برأي الفقيه الذي تقلده (تعتمد عليه في أخذ الأحكام)، و ليست ملزمة برأي محدد. وهكذا بنى الإسلام الأسرة على أسس قانونية وأخلاقية متقدمة، ليكون البناء حكماً وقوياً، ولتستطيع الأسرة في مجال العلاقة الزوجية أن تؤدي دورها الإنساني العظيم.

* تنظيم الروابط الاسرية:

ان المهمة الأساسية التي اضطلع بها الإسلام هي مهمة تنظيم الحياة الإنسانية، و إنقاذها من الفوضى والضياع عن طريق القوانين والقيم والأخلاق...

ولما كانت الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، و كان تنظيمها، وضبطها، و تقوية بنائها، هو الأساس في بناء النظام، و تصحيح الاتجاه النفسي والأخلاقي في المجتمع... توجه الإسلام إلى الأسرة لينظمها، ويشيد القواعد وأسس القانونية والأخلاقية الالزامية لتنظيم وضبط الحياة داخلها، مراعيا ادخال كل عنصر نفسي وتنظيمي

وغرizi في الصياغة، لذلك فقد نظم الاسرة على الأسس الآتية:

- ١ — حقوق الزوجة على زوجها.
- ٢ — حقوق الزوج على زوجته.
- ٣ — حقوق الأبناء على آبائهم.
- ٤ — حقوق الآباء على أبنائهم.
- ٥ — الميراث.

١ — حقوق الزوجة على زوجها:

لكي يبني الاسلام الرابطة بين الزوج وزوجته على أسس واضحة وسليمة، ووفق مبدأ شرعى محمد ثبت لنا الأساس التالي:
«... ولهم مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...».

(البقرة — ٢٨٨)

فيهذه العلاقة القانونية الرائعة، شاد الاسلام العلاقة بين الزوجين على أساس معادلة دققة عادلة، فللمرأة حقها الشرعي المقدس على زوجها مقابل حقه الشرعي عليها أيضا، فالاسلام لم يفرض للرجل حقه إلا بعد أن فرض للمرأة حقها: «... ولهم مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...».

والذى يتبع العلاقة الزوجية في الاسلام، ويستقرئ كيفية تنظيم الاسلام لها، يلاحظ ان الاسلام في كل تشرع و توجيه اتى يبني العلاقة

الزوجية بين الرجل والمرأة على أساس من الود والرحمة والمعروف وحسن المعاشرة، ويعتبر ذلك ميثاقاً مقدساً، ومبدأ أساساً.

وكم رأى قول الإمام جعفر بن محمد الصادق -ع- وهو يعبر عن هذا الميثاق المقدس بقوله: (إذا أراد أحدكم أن يتزوج، امرأة، فليقل أقررت بالميثاق الذي أخذ الله: امساك بمعروف أو تسرير بحسان).^(٨٣)

وباستقراء نصوص الشريعة ومفاهيمها وقيمها التي حددت حق المرأة على الرجل نستطيع أن نشخصها كالتالي:

أ - حق النفقة... فللمرأة على زوجها حق النفقة، فهو المسؤول عن توفير ما تحتاجه المرأة من طعام ولباس وسكن وعلاج ووسائل للزينة ونفقات تناسب وضعها الاجتماعي من جهة، وقدرته المالية من جهة أخرى.

قال رسول الله (ص): (أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقاً، لكم عليهن حقاً، حفظكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعصلوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتصربوهن ضرباً غير مبرح. فإذا انتهن وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللت فروجهن

٨٣ - الكليني - الفروع من الكافي - ج ٥ - ص ٥٠٢

بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خبراً^(٨٤).
ب — حسن المعاشرة، ومبادلتها الحب والثقة والاحترام:
«وَعَاشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...»

(النساء — ١٩)

«فِإِمْسَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيعٍ بِالْحَسَانِ»

(البقرة — ٢٢٩)

«... وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً...»

(الروم — ٢١)

«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...»

(البقرة — ٢٢٨)

و عن الرسول — ص —: (الا إِنَّ أَخْيَرَكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا
خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي)^(٨٥).

وفي حديث آخر: (رحم الله عبداً، أحسن فيما بينه وبين زوجته،
فإن الله عز وجل، قد ملكه ناصيتها، وجعله القائم عليها)^(٨٦).
فالحياة الزوجية هي منبع السعادة، ومصدر الحب والحنان... وفي

٨٤ — الحراني — تحف العقول عن آل الرسول — ص ٢٤.

٨٥ — الحر العاملي — وسائل الشيعة — ج ٧ — ص ١٢٢ — ط ٤.

٨٦ — المصدر السابق — ص ١٢٢.

أحضان البيت يجد الانسان راحته و استقراره، و بقرب زوجته يشعر بالطمأنينة والسرور...

و يقدر ما تكون العلاقة ودية، و العاشرة حسنة بين الزوجين تكون أجواء الاسرة موحية بالأمن و الاستقرار و الراحة للزوج و الزوجة و الأبناء، و كم كان دقيقاً و مؤثراً قول رسول الله -ص- حين قال: (قول الرجل للمرأة أتى أحبك لا يذهب من قلبها أبداً) ^(٨٧).

ويؤكد الاسلام على حسن معاشرة الزوجة، وملء الجانب النفسي و الجمالي من حياتها، و مراعاة التوافق الجنسي و الاشباع الغريزي بين الزوجين، لتحتك كلّ أبعاد العلاقة الزوجية بينهما، بل يؤكد أكثر من ذلك فيدعو الرجل الى أن يتّخذ كلّ الوسائل و الأساليب التي تختبر اليه زوجته، و تعمل على شدّها نفسياً و غريزياً به، و تدعوه لاشباع كلّ دوافع الرغبة و اللذة في نفسها، عن طريق هذه الوسائل، فالاسلام يدعو الرجل الى الحرص على الجانب الجمالي في شخصه، و العمل الى جذب المرأة و الاستجابة الى رغبتها الجنسية، و مداعبتها، و إثارتها جنسياً للتتوافق معها، قبل أن يقدم على الجماع و ممارسة العلاقة الغريزية. فالمرأة طرف معادل في اللذة و الاستمتاع الجنسي، و ليست وسيلة للاستمتاع و الاشباع الغريزي للرجل، فقد جاء في الحديث الشريف:

(كلّ هو المؤمن باطل الا في ثلات، في تأدبه الفرس، ورميه عن قوسه، وملاعبته امرأته، فانهنّ حق...)^(٨٨).

(اذا أراد أحدكم أن يأتي زوجته، فلا يعجلها، فإنّ للنساء حوائج)^(٨٩).

(ثلاثة من الجفاء: أن يصاحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه و كنيته، وأن يدعى الرجل الى الطعام فلا يحبب، وأن يحبب فلا يأكل، و مواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة)^(٩٠).

و روی: (انّ رسول الله - ص - دخل بيت أم سلمة، فشمَّ ريحًا طيبة، فقال: أتكم الحولاء؟ فقالت: هو ذا هي تشكو زوجها، فخرجت عليه الحولاء فقالت: - بأبي أنت و أمي، انّ زوجي عنى معرض، فقال: زيديه يا حولاء، فقالت: لا أترك شيئاً طيباً مما أطيف به و هو معرض، فقال: أما لو يدرى ما له باقباله عليك، قالت: وما له باقباله على؟ فقال: أما إنّه اذا أقبل اكتنفه ملكان، و كان كالشاهد سيفه في سبيل الله، فإذا هو جامع تحات عنه الذنوب كما يتحات ورق الشجر، فإذا هو اغتسل انسليخ من الذنوب)^(٩١).

.٨٨ - الكليني - الفروع من الكافي - ج ٥ - ط ٣ - ص ٥٠.

.٨٩ - الحز العاملی - وسائل الشيعة - ج ٧ - ص ٨٣.

.٩٠ - المصدر نفسه.

.٩١ - الحز العاملی - وسائل الشيعة - ج ٧ - ص ٧٦.

روى الحسن بن الحسن عن الامام علي بن موسى الرضا قال: (رأيت أبا الحسن أختضب فقلت: جعلت فداك اختضبت؟ فقال: نعم، ان التهية مما يزيد في عفة النساء، و لقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهية،^(٩٢) ثم قال: أيسرك أن تراها على ما ترك عليه اذا كانت على غير تهية؟ فقلت: لا، قال فهو ذاك ، ثم قال: من أخلاق الأنبياء التنظف و التطيب و حلق الشعر و كثرة الطروقة^(٩٣).

ولعلنا استطعنا من خلال العرض أن نرسم صورة واضحة عن حسن العاشرة و حق الزوجة على زوجها... ملء كلّ ابعاد العلاقة المادية و الأخلاقية و الغريزية و الجمالية بينها.

٢ - حقوق الزوج على زوجته:

و لكي تكتمل معادلة العلاقة بين الرجل و المرأة جعل الاسلام للرجل على المرأة حقاً واضحاً و محدداً، الا انه أقلّ كلفة من حقوق المرأة على الرجل... فحقوقها أكثر كلفة وأوسع نطاقاً.
و من استقرائنا لنصوص القرآن و السنة النبوية نستطيع أن نكتشف

٩٢ - التهية = الاستعداد و التهيئ، و يعني التزيين و العناية بحسن المظهر.

٩٣ - الطروقة = الجماع.

٩٤ - المصدر السابق - ص ١٨٣.

الحقوق الأساسية التي ثبّتها الإسلام للزوج على زوجته، وحدّدها بدقة ووضوحاً:

قال تعالى: «الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ يَا فَضْلَ اللَّهِ بِعَضَّهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَبِمَا أَنْفَقُوا...»

(النساء - ٣٤)

وجاء في رواية أنَّ امرأة جاءت رسول الله - ص - فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟

فقال (ص): (أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ)، قالت: فَخَبَرْتِي عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، قال: ليس لها أن تصوم إلا باذنه (يعني تطوعاً)، ولا تخرج من بيتهما بغير اذنه، وعليها أن تتطيب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتزين بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية، وأكثر من ذلك حقوقه عليها) (١٥).

وللإيضاح و التركيز نصف حقوق الزوج على زوجته و ندوتها كالتالي:

أ - الحفاظ على بيته و ماله و أبنائه: - حفاظ رعاية و عناء... و الا غير مسؤولة عن القيام بشؤون المنزل و أعمال البيت كالطبخ و التنظيف... الخ.

• - لئلا يتعارض هذا الصوم مع حقه بالاستمتاع بها.

٩٥ - المصدر السابق - ص ١١٢.

و هي أيضا غير مسؤولة عن رضاعة الأطفال و خدمتهم و حضانتهم ... الا أن الاسلام حب ذلك الى المرأة و اعتبره عملاً محوباً و مقرباً لله سبحانه ... الا أن يشترط الرجل على المرأة عند إنشاء عقد الزواج بينهما، فيحملها مسؤولية القيام بشؤون المنزل، و تدبير حاجاته و تربية الأبناء.

و في السنة النبوية نقرأ حق الرجل هذا على المرأة ضمن قول رسول الله - ص - : (ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره اذا نظر اليها، وتطيعه اذا أمرها، وتحفظه اذا غاب عنها في نفسه وما له) ^(١٦).

كما نقرأ من غرر السيرة قضاء رسول الله - ص - بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ع - و زوجته فاطمة بنت رسول الله - ص - فقد جاء عن الامام الصادق - ع - انه قال: (تقاضى علي وفاطمة الى رسول الله - ص - في الخدمة) ^(١٧)، فقضى علي فاطمة بخدمتها ما دون الباب و قضى علي بما خلفه فقالت فاطمة: فلا يعلم ما دخلني من السرور الا الله باكافئي رسول الله تحمل ارفاق الرجال) ^(١٨).

. ٩٦ - ٩٨ - المصدر السابق - ص ٢٣ - ص ١٢٣ .

٩٧ - الخدمة في البيت و تدبير شؤونه و هذا القضاء النبوي لا يكشف عن الوجوب، بل توجيه و ارشاد وحث على التعاون.

ب - الطاعة و القوامة: الاسرة؛ مؤسسة اجتماعية خطيرة و على مدى ضبطها و تنظيمها و سلامتها بنائها يتوقف بناء المجتمع و سلامته، من هنا كان لابد من وجود مسؤول يتمتع بالطاعة و الولاية و القيمة في الاسرة و يمارس مهمة التوجيه و القيادة فيها و يتمتع بالولاية و الطاعة، وقد جعل الاسلام هذه الطاعة للزوج، و أعطاه الكلمة النافذة على الزوجة و الابناء، كما منحه الولاية على أبنائه الصغار، حتى يتجاوزوا مرحلة الصبا الى مرحلة البلوغ شريطة ان لا يأمر بما يخالف أحكام الشرع و قيمه، فلو أمر بمعصية سقط حقه، ولا يجوز طاعته.

فقد ورد في الحديث: (لا طاعة لخلوق في معصية الخالق).

كل ذلك من أجل صيانة الاسرة، و توفير الضمانات الازمة لحمايتها و الحفاظ عليها وقد ثبتت القرآن الكريم هذا الحق بقوله: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...»

(النساء — ٣٤)

وقول الرسول — فيما عرضنا من احاديث آنفة:
(لا تخرج من بيتكا بغير اذنه) (وتطيعه اذا امرها).

ج - حسن المعاشرة: و توفير جو من الود و الاستقرار للزوج و الابناء، و الابتعاد عن كل اسباب القلق و النفور، و تعكير صفو الحياة في العائلة، و ذلك بالتحبب للزوج و التودد له و ملء أجواء البيت بمشاعر

الحب والجمال والحنان، بحيث لا يرى الزوج في زوجته، ولا يسمع منها يكره، فان في توفير مثل هذا الجو أبلغ الاثر في حياة الزوج و الزوجة ، الأبناء و سعادتهم العائلية... فكلما نما الاحساس بالجمال في نفس الانسان، وكلما اشعت أحاسيسه و مشاعره بالحب و الحنان؛ اختفت من نفسه أسباب القلق و السامة، وتواترت دوافع العداون و مرارة الحقد و النسمة، وبالتالي يكون لهذا الجو العائلي المفعم بالحب و الجمال و الحنان اثره على سلوك افراده و علاقتهم بمجتمعهم، وخصوصاً الأبناء الصغار الذين يعيشون في ظلال هذه الأجواء و يتربون تحت مظلة هذه الأسرة السعيدة، يعكس الاسرة الشقية التعيسة، التي يعيش فيها الزوج حياة الكراهيّة و التوتر، والنفور وسوء المعاشرة، فإن مثل هذه الأجواء تعكس على نفس الطفل، و تؤدي إلى تعقيده و تعاسته، و ربعاً لجأته إلى التشرد، والميل إلى العداون و التحلل...

لذلك تجد الاسلام يوصي المرأة، باعتبارها منبع الحب، و مستودع الجمال و مصدر الاستقرار و الطمأنينة في البيت... يوصيها: بأن تحرص على خلق جو عائلي مفعم بهذه الروح و العلاقة:

(جاء رجل إلى رسول الله -ص- فقال: إن لي زوجة إذا دخلت تلقطني وإذا خرجت شَيْعَتني، وإذا رأته مهوماً قالت لي: ما يُهْمِك ؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك ، و إن كنت تهتم لامر آخرتك فزادك الله هماً، فقال رسول الله (ص): إن الله عَمَالٌ ، وهذه من عماله،

هـ نصف أجر الشهيد) (٩٩).

و عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: (كنا عند النبي - ص -
قال: إن خير نسائكم الولود، الودود، العفيفة، العزيزة في أهلها،
الدليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره، التي
تسمع قوله، وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها، ولم
تبذل كتبذل الرجل) (١٠٠)

د - حسن التبقل بتمكينه من نفسها، وتوفير اسباب المتعة و
الجمال له، والاشباع الغريزي والميل الجنسي في نفسه، عن طريق
العناية بالاناقة والزينة، والتودد وحسن الاستعمال، والاستجابة
لرغباته الجنسية، نظراً لما لهذا الجانب من تأثير بالغ الاهمية على جذب
الرجل للمرأة، وتوثيق علائق الحب معه والارتباط به، وتوفير الراحة و
الرضى في نفسه، وقطع الطريق أمام الخيانة الزوجية، والوقوع في
شرك الاغراء المحرم.

وقد قرأتنا في أحاديث سبقت: (إن خير نسائكم الولود الودود
العفيفة، العزيزة في أهلها، الدليلة مع بعلها، المتبرجة مع
زوجها، الحصان على غيره، (١٠١) التي تسمع قوله، وتطيع أمره، و

٩٩ - ١٠٢ - المصدر السابق - ص ١٧ - ص ١٤.

١٠٠ - التواضع له.

١٠١ - التي تصون وتنعم نفسها عن غيره.

إذا خلأها بذلت له ما يريده ولم تبذل كتبذل الرجل) (١٠٣).
 (... و عليها ان تتطيب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، و
 تزين بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية...) (١٠٤).
 وعن الامام الصادق - ع - : (ان امراة اتت رسول الله لبعض
 الحاجة فقال لها: لعلك من المسوقات، قالت وما المسوقات يا
 رسول الله؟ قال: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة) (١٠٥) فلا
 تزال تسوفه حتى ينفع زوجها، وبينما فتك لا تزال الملائكة تلعنها
 حتى يستيقظ زوجها) (١٠٦).

وقد صاغ القرآن هذا الحق - حق الاستمتع - و لخصه بقوله:
 «نِسَاؤُكُمْ حَرَثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ، وَقَدِيمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَاقُوهُ، وَبَشِّرِ المؤمنين».
 (البقرة - ٢٢٣)

فالقرآن الحكيم يثبت بهذا النص للرجل شتى ألوان الاستمتع
 بالمرأة، كما تستمع هي الأخرى بهذه العلاقة...
 و ثمة ملاحظة تشريعية و اخلاقية دقيقة، ترتبط بهذه الاباحة، و

. ١٠٣ - المصدر السابق - ص ١٤.

. ١٠٤ - الحر العاملي - وسائل الشيعة - ج ٧ - ص ١١٢.

. ١٠٥ - يعني الجماع.

. ١٠٦ - الكليني - الفروع من الكافي - ج ٥ - ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

هي وصايا القرآن المثالية: «وَقَدِيمُوا لِأَنفُسِكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْلَمُوا أَنْكُمْ مُلَاقُوهُ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

(البقرة – ٢٢٣)

و كل هذه الوصايا جاءت مرتبطة بهذه العلاقة الجنسية، و برابطة الرجل بالمرأة، مما يستفاد منها أنها ذات علاقة بالمرأة، وبكيفية الاستمتاع بها، والاستفادة من هذا الحق، لئلا يقع تعسف أو إحراج أو تضيق على المرأة نتيجة إسراف الرجل، أو تزmetته في استعمال حقه. و كما طالب الإسلام المرأة بالعناية بالزينة والتبرج لزوجها، و التودد له، حرم عليها أن تتبدل أو تتبرج لغيره، فتلك خطوة نحو الانفصال النفسي، وبادرة شر تدفع بالمرأة إلى الانحراف والتهاون والخيانة الزوجية، إضافة إلى خلق جو من التوتر وسوء الظن والكراءية عند زوجها ...

لذلك جاء في الحديث الشريف: (أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق، لم يتقبل الله منها صلاة حتى يرضي عنها، و إيماناً امرأة تطيئ لغير زوجها لم يقبل الله منها صلاة حتى تغسل من طيبها كفسلها من جنابتها) ^(١٠٧).

٣ - حقوق الابناء على آبائهم:

الابناء ثمرة العلاقة الزوجية، وزينة الحياة، وجمال الاسرة، وبذرة الامتداد والبقاء النوعي للانسان... فالمهدف الاساسي للزواج والعلاقة الزوجية هو بقاء النوع، وخلود الحياة، وإنجاب الابناء، لذلك جعل الله سبحانه وتعالى غريزة الامومة من أقوى الغرائز وأشدتها تأثيراً في حياة الانسان، بعد غريزة حب الحياة، لارتباط غريزة الامومة بحب الخلود والبقاء في نفس الانسان، فالابناء يمثلون بالنسبة للآباء امتداداً وجودياً لهم يختلف وجودهم ويحفظ بقاءهم ...

وتعبيراً عن هذه الغريزة الطبيعية، وترجمة لهذا الاحساس الانساني الفطري جاء التشريع الاسلامي بقوانينه وقيمته المنظمة للزواج والعلاقة الابوية، وتحديد مسؤولية الآباء، وعلاقتهم بابنائهم.

فجعل لكل واحد منها واجباً ومسؤولية، وصلاحيات تتناسب ودوره في الاسرة، فجعل الآباء:

أ - مسؤولاً عن النفقة على ابناءه، أو التكفل بكل احتياجاتهم ما زالوا صغاراً لم يبلغوا، كما ألزم الأب بالنفقة على الابناء أيضاً حتى بعد بلوغهم اذا كانوا عاجزين عن النفقة لسبب مشروع يقره القانون الاسلامي ... كالمرض والعجز... الخ، لاستمرار العلاقة، وتوثيق الصلة وبدأ التكافل بينهما... فالرابطة المعاشرة هي رابطة ذات أبعاد مادية وأخلاقية مؤثرة في بناء الاسرة والمجتمع، وتوثيق أواصر العلاقة بين

أفرادها، وبذا صار الاب مسؤولاً عن تربية أبنائه من حضانة ورضاعة وخدمة.. الخ.. في مرحلة الطفولة، واعفيت الأم من ذلك، فأعطي الاسلام الأم حق المطالبة باجرة الرضاعة والحضانة وتربية الابناء، فالأم غير مسؤولة عن ذلك ، إلا أنها مسؤولة عن رعايتهم وتربيتهم تربية توجيهية صالحة، فدورها في البيت هو دور المعلم والمربي والموجه...
 أما تطوعها في الخدمة والحضانة والرضاعة فذاك عمل يحبه الله سبحانه، ويؤجرها عليه، بل ويحثها الاسلام على التطوع بمثل هذه الاعمال ويدعوها إليها... من غير إلزام ولا إكراه...
 بـ و الحق الثاني للأبناء على آبائهم: هو التربية والتوجيه والعناية، و افاضة روح الحب والحنان عليهم...

فالطفل يحتاج الى الرعاية النفسية والحب والحنان الأبوي، كما يحتاج الى الحليب والدواء والثياب... لذلك نجد وصية رسول الله -صـ- بالأنباء تؤكد هذا الجانب وتحث عليه:
 (احبوا الصبيان، وارجوهם، و اذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فانهم لا يدرؤن الا انكم ترزقونهم) ^(١٠٨) (من قبل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرحة الله يوم القيمة، ومن علمه القرآن دعي بالابوين فيكتسيان حلتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة) ^(١٠٩). (ان الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده) ^(١١٠).

١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - الكليني: - الكافي - ج ٦ - ص ٤٩ - ص ٥٠.

وقد ثبت علمياً أن الأطفال الذين يعيشون في أحضان الحب والحنان و الرعاية الأبوية ينشأون نشأة سوية سليمة، خالية من العقد والأمراض النفسية، ومظاهر الانحلال و وهن الشخصية، كما ثبت علمياً أن للعلاقة الأبوبية الطيبة بالأبناء أثراً إيجابياً على سلوك الأبناء و علاقتهم بالآخرين، في مرحلة الطفولة والراهقة والبلوغ، إضافة إلى أن الطفل الذي يفقد الحنان ويعايش أجواء الحقد والكراهية، وعدم العناية... ينشأ فرداً متخل الشخصية، عدواني السلوك ، يشعر بالنقص والكراهية.

لذلك أكد الإسلام مسؤولية الآباء التربوية، وشدد على حسن التربية والتوجيه بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْمًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَغْصُونَ اللَّهُمَّ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ». (الحرم - ٦)

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ ابْنِي هَذَا؟) قَالَ: تَحْسِنُ اسْمَهُ وَأَدْبَهُ، وَضُعِّفُهُ مَوْضِعًا حَسَنًا). (١١١).

فعلى الآباء مسؤولية إعداد ابنائهم وتربيتهم للحياة الصالحة وإعانتهم على الهداية، لذلك أعطى الإسلام الأب والجد من جهة الأب الولاية على الأبناء الصغار، والهيمنة عليهم، كما حله ضمان المسؤولية الناشئة عن تصرف ابنائه الصغار، بما يتعلق بحقوق الناس.

١١١ - الكافي - الكافي - ج ٦ - ص ٤٨

٤ - حقوق الآباء على أبنائهم:-

«وَصَنَّا لِلنَّاسِ بِوَالِدِيهِ، حَمَلْتُهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَىٰ وَهِنِّ، وَفِي صَالَةٍ فِي عَامِينِ أَن اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ»

(للمان - ١٤)

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، وَبِالوَالِدِينِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبْلُغُنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا، أَوْ كُلُّهُمَا، فَلَا تَقْلِنْ لَهُمَا أَفِ، وَلَا تَنْهَرُهُمَا، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاحْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ * مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبَّ ارْجُهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا».

(الاسراء - ٢٣ - ٢٤)

لم يخص الاسلام أحدا بالعناية والتكريم كما خص الوالدين، ولم يثبت لأحد من الحقوق على أحد كالحقوق التي ثبّتها للوالدين على أبنائهم.

لذلك نشاهد القرآن يجعل حقهما بعد حق الله على الانسان، فهو عندما يأمر الانسان بالاعتراف بالفضل وشكر الله وعبادته، يردف الأمر بشكر الوالدين وطاعتھما والاحسان اليھما، والرحمة بهما، والتواضع لهما، فھما سبب وجود الانسان، ومصدر الحياة ومنهل الرعاية والعناية... فالاُم حملته بين أحشائهما، وغذته من دمها، وأرضعته من لبنها، وحننت عليه بحبها وقلبها، وناغته بأناشيد الحب والسرور في ليلاها ونهارها،

* الذل = اللين و التواضع.

وَحُرِّمَتْ مِنَ الْذِيذِ النَّوْمَ مِنْ أَجْلِ نُومِهِ وَرَاحْتَهُ، وَلَمْ تَفْتَأِ طِيلَةً حَيَاةَهَا
تَحْوِطَهُ بِمَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالرَّعَايَةِ وَتَرَاهُ رُوحَهَا وَقُلُوبَهَا النَّابِضَ فِي جَسَدٍ آخَرَ،
أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْإِنْسَانَةُ الْعَظِيمَةُ حَرِيَّةً بِأَنَّ يَكُونَ لَهَا مِنَ الْحَقُوقِ مَا لَيْسَ
لِأَحَدٍ؟ وَأَنَّ يَكُونَ لَهَا مِنْ عَظِيمِ الْبَرِّ مَا يَنِي بِعَضُّ إِحْسَانَهَا...؟ فَنَّ أَحَقُّ
مِنْهَا بِالْإِحْسَانِ؟ وَمَنْ أَوْلَى مِنَ الْوَلَدِ بِالْوَفَاءِ وَالْعِرْفَانِ...؟

وَكَمْ كَانَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ - ص - دَلَالاً، وَمَعْبُراً حِينَ قَالَ: لِرَجُلٍ

جَاءَ يَسْأَلُهُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِرَّ؟ قَالَ: أَمْكَ، قَالَ: ثَمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَمْكَ،
قَالَ: ثَمَّ مَنْ؟، قَالَ: أَمْكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبَاكَ) (١١٢).

وَالْأَبُ لِلْأَبْنَاءِ: هُوَ الْحَبِيبُ وَالْمَرِيءُ وَالْمَنْفِقُ... الَّذِي يَبْذُلُ جَهَدَهُ،
وَيَوْقَفُ حَيَاةَهُ، وَيُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَوْقَرُ الْعِيشَ السَّعِيدَ، وَ
الْحَيَاةَ الْهَانِئَةَ، فَهُوَ يَرَى أَبْنَاءَهُ وَجُودَهُ، وَامْتَدَادَهُ يَمْدُدُ فِي حَيَاةِهِ
بَعْدِ مَوْتِهِ...

وَلَقَدْ كَانَ خَطَابُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ - ع - لِوَلَدِهِ الْحَسَنِ لِسَانَ حَالَ لِكُلِّ
الْآبَاءِ الَّذِينَ يَؤْمِنُونَ بِمَبَادِئِ عَلِيٍّ (ع)، وَيَحْمِلُونَ رُوحَهُ وَمَشَاعِرَهُ:

(... وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّىٰ كَأَنْ شَيْئًا لَوْ
أَصَابَكَ أَصَابِنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْأَتَكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا

يعني من أمر نفسي ...).^(١١٣)

فإذا كانت هذه المشاعر الإنسانية، وال العلاقات الوجدانية النبيلة هي أحاسيس و مشاعر الآباء التي يفيضونها على أبنائهم، كان البر بالآباء و الإحسان إليهم، هو أبسط الواجبات، في منطق الأخلاق و عرف الضمير، التي يؤديها الأبناء لآبائهم، لتصاغر عطاء الأبناء وعجز حسهم و شعورهم عن مماثلة عطاء الآباء و أحاسيسهم و مشاعرهم... لذلك كان الواجب هو الإحسان و الشكر و العرفان، و هو مجرد اعتراف بالفضل، و محاولة لتحقيق الرضى و ليس هو كامل الوفاء او المعادلة.

ولكي لا يكون الحق الأبوي مجرد وصايا أخلاقية أو مندوبات طوعية، حدد الإسلام هذه الحقوق بواجبات قانونية و تشريعات إلزامية، ألزم الأبناء بتنفيذها، وشدد العقوبة على تاركها ، فيجعل للآباء على الأبناء حق الرعاية و العناية اذا كبروا و احتاجوا الى من يرعاهم وينهض بشؤونهم، كما أوجب نفقة الآباء على الأبناء عند العجز و الحاجة، و أعطى السلطة الشرعية حق التنفيذ و الالزام عند ظهور العقوق، و عده من كبار الذنوب، ونهى عن أبسط مظاهره... و هو التألف و الضجر من الوالدين، أو النظر اليهما نظرة مقت و كراهيـة...
فقد جاء في الحديث الشريف: (أدنى العقوق أـفـ، ولو علم الله

عزّ وجلّ شيئاً أهون منه لنهى عنه^(١١٤).
(من نظر الى ابويه نظر ماقت، وهم ظالمان له، لم يقبل الله له
صلوة)^(١١٥).

فالاسلام يطالب الابناء بالاحسان الى آبائهم و إن صدر منها خطأ
بحق الابناء، وشدد في وجوب البر والاحسان، حتى يجعل نظر الحب و
الرأفة للوالدين عبادة، كما جاء في الحديث الشريف:
(نظر الولد الى والديه حباً لها عبادة).

ولا ينتهي برالأبناء بآبائهم في فترة الحياة، بل و تستمر هذه الرابطة
الوجودانية و العلاقة الانسانية النبيلة للأبناء بآبائهم حتى بعد مماتهم،
فالآب الميت أحوج الى البر من الآب الحي... فعالم الحياة عالم
الأسباب و النشاط الانساني... وبامكان الانسان أن يدير شؤونه أو
يستعين بغير أبنائه لقضاء حاجته، أو لتفریج شدته، و تخفيف عسره، أما
الانسان في عالم الآخرة فلا يملك من الأمر شيئاً:
«هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِهِ».
(الحافة - ٢٩)

«فَلَا يَسْتَطِعُونَ تَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ». (سبأ - ٥٤)
«وَحِيلَ بَيْنُهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...»
(يس - ٥٠)

فالانسان في عالم الآخرة مقطوع عن عالم الدنيا، و إن له فيها وجوداً
و علاقة سببية هي كل حياته التي قضاها فيها.

و ان هذه الصيغة الحياتية هي كل رأسماله في عالم الآخرة، و هو
بحاجة الى تصحیح هذا الوجود، و إثراه و إيمائه بأسباب الخير، لأن
مصيره في عالم الآخرة متوقف عليه... و ها هو قد انقطع عن ذلك العالم،
ولا يستطيع العودة إليه، و لم يزل محتاجاً إليه لمعالجة ما طرأ على فترة
حياته من سوء و تشويه... فن الذي يستطيع أن يقوم بهذه المهمة...؟،
و من الذي يجبر انكسار الانسان في حياته و هو بعيد عنها.؟.. السنة
النبوية تجibنا على ذلك و تخبرنا أن للانسان امتداداً وجودياً في الحياة،
يمكن أن يستمر بعد موته، هذا الامتداد هو جزء من ذاته، و حصيلة طيبة
من غرس يده... .

فقد جاء عن الرسول الكريم محمد - ص -: (إذا مات المرء
انقطع عمله الا من ثلات: صدقة جارية، أو علم ينفع به، أو ولد
صالح يدعوه) فالولد الصالح ينفع أبويه في حياتهما و بعد مماتهما.
ولذا فإن الرسول (ص) لم يعتبر بر الوالدين منقطعاً بانقطاع الحياة،
بل اعتبره مستمراً فيها بعدها أيضاً.

جاء اعرابي إلى رسول الله (ص) فقال: (يا رسول الله هل بقي من برّ
أبوئ شيء أبرهما به بعد موتهما؟) فقال: نعم الصلاة عليها والاستغفار
لهم و انفاذ عهدهما من بعدهما، و صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما،

واكرام صديقها).

لذلك كان على الأباء أن يبروا آباءهم، ويسنوا إليهم فيعملوا الخير لهم، ويقضوا عنهم ديونهم، وعبادتهم التي ربها قصرت بادئتها في الحياة، كالصلوة والصوم والحج... ودואم الاستغفار لهم... فإن ذلك حق للأباء على أبنائهم كما جاء في الحديث الشريف: (إن العبد ليكون بارا بوالديه في حياته، ثم يموتان فلا يقضي عنها ديونها، ولا يستغفر لها، فيكتبه الله عاقا، وإنه ليكون عاقا لها في حياتها غير بار بها، فإذا ماتا قضى دينها واستغفر لها، يكتبه الله عز وجل بارا).^(١١٦).

لذلك أوجبت الشريعة الإسلامية على الابن الأكبر قضاء مافات الاب من صلاة ان لم يوص الاب أحداً بالقضاء، كما أوجبت على الوارث قضاء الحج، والصوم، وسائر الديون، ورد المظالم إلى أهلها من تركة المتوفى نفسه قبل قسمة الميراث.

٥ – الميراث:

والميراث يعتبر الركن الخامس من أركان تنظيم العلاقة الاسرية، فالميراث تشرعه مالي له أهداف اقتصادية ونفسية تساعده على تقوية أواصر الأسرة، وشد الرابطة بين أفرادها، وقانون الارث في الاسلام

. ١١٦ – الكليني/الكافي/ج ٢/ص ١٦٣.

يتحقق للأسرة والمجتمع أهدافاً كثيرة، أهمها:

- ١ - يساعد على تقوية أواصر الود و العلاقة بين الأب و أبنائه و زوجته و أفراد أسرته، فهو يشعر أنهم يرثون جهده و ماله، و هم يشعرون بأنه صاحب الفضل الذي ترك لهم مالاً يعينهم على سدّ حوائجهم، أو يساعدهم على فتح آفاق العمل و الحياة المعيشية أمامهم.
- ٢ - يساعد قانون الارث على ضبط موازنة التوزيع الاقتصادي، و تقسيم الثروة التي يملکها فرد بين مجموعة من الأفراد، بشكل يساعد على إلغاء التضخم المالي من جهة، و مكافحة الفقر و الحاجة من جهة أخرى.
- ٣ - قانون الارث يشجع الأفراد على الانتاج، و مضاعفة الجهد، لأن الفرد في هذه الحالة يؤمن بأن أقرب الناس إلى نفسه و أحبهم إليه، هم الذين يرثونه، بل يحرص على أن يوفر لهم حاجاتهم و يضمن لهم مستقبلاً، خصوصاً إذا كانوا صغاراً لا يستطيعون الكسب، بعكس الإنسان الذي يعيش في مجتمع لا يؤمن بالارث كالمجتمع الاشتراكي مثلاً... فإن الفرد لا يجد مبرراً إلى توفير الانتاج و مضاعفة الجهد، مازال هذا المال تتصادره الدولة بعد وفاته، و يصير إلى من لا علاقة له بهم، ولا ثواب يلحقه منهم ...

- ٤ - إن عدالة توزيع الميراث بين أقرباء الميت، تشعر الجميع رجالاً و نساء بالمساواة و تبعد روح الحقد و الكراهيّة، و تتحقق العدالة القانونية

والأخلاقية بأفضل صورها، بعكس القوانين التي تعطي الميراث للذكور من دون الاناث، أو تجعل الميراث لابن الأكبر، كما في كثير من القوانين الوضعية، والشائع المحرفة.

و هكذا يساعد هذا التشريع على بناء الاسرة وتماسكها حتى بعد وفاة المعيل لها، بتوفير الضمان المادي، والأساس النفسي والأخلاقي المتن لها.

شَهَات

١ – حول الميراث:

ولا يفوتنا و نحن نتحدث عن الميراث، أن نوضح شبهة طالما دأب
أداء الاسلام على تردادها، و عدّها خصومه من المثالب و الطعون التي
يرمونه بها، وهي قضية ميراث المرأة...

فالرأي الشائع بين المستشرقين و أتباعهم، وبين الطاعنين بالاسلام
أن الاسلام ظلم المرأة، و استهان بها، حين جعل ميراثها نصف ميراث
الرجل، و بالتأمل في هذا الطعن نشاهد الاسلام لم يجعل ميراث المرأة
نصف ميراث الرجل كقاعدة عامة في الميراث، بل لا تنطبق هذه الحالة
الا في بعض الموارد...

فالمراة تأخذ احياناً نصف حصة الرجل: «يُوصِّيْكُمُ اللَّهُ فِي أُولَادِكُم
لِلَّهِ كَمِثْلُ حَظِّ الْأَثْيَنِ...»

(النساء – ١١)

وتأخذ احياناً اخرى قدرأ مساوا بالحصة الرجل: «... و إِنْ كَانَتْ
وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ، و لِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ». (النساء – ١١)

في هذه الآية نقرأ: «وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا السُّدُسُ».
فالآية الكريمة تسوى في الميراث بين الرجل والمرأة الآبوين وتعطي
كلا منها (السدس) في هذه الحالة... .

وتأخذ المرأة أحياناً أكثر من الرجل كما لو توفر شخص وترك بنتا
وأحد أبويه، فعندئذ يأخذ أحد الآبوين الربع بالتسمية والرد وتأخذ
البنت الثلاثة أرباع الباقيه. (١١٧)

فإذاً وهو رجل يستحق في هذه الحالة الربع، وتستحق حفيدهه
(البنت) ثلاثة أرباع الميراث.

وهكذا نفهم أن توزيع الميراث في الإسلام – والامثلة كثيرة على ذلك لم ينتقص من حق المرأة شيئاً، وثانياً يتضح لنا من ذلك أن سبب نقص ميراث المرأة في بعض الحالات عن الرجل، لا يعود لكونها امرأة، بل لاعتبارات تخص الميراث والتوزيع و العدالة الاجتماعية و درجة القربي، وعدد الورثة... الخ.

والآن كيف نفسر تساوي المرأة مع الرجل في بعض حالات
الميراث؟ وزيادتها عليه في حالات أخرى إلى حد ثلاثة أضعاف؟

٢ – حول تعدد الزوجات:

«وَإِنْ خِفْتُمُ أَلَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ، فَانْكِحُوهَا مَا طَابَ لِكُمْ

١١٧ – منهاج الصالحين – ج ٢ مراتب الارث.

من النساء، مَنْتَهِيَ وَثُلَاثٌ وَرُبَاعٌ، فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَا تَغْدِلُوا فَوَاحِدَةً
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، ذَلِكَ أَدْنَى أَلَا تَعْوِلُوا».

(النساء - ٣)

«وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَغْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَضْتُمُ فَلَا تَمْبَلِلُوا
كُلَّ الْمَيْلِ، فَتَنَذَّرُوهَا كَالْمُعْلَقَةِ، * وَإِنْ تُصْلِحُوهَا وَتَنْقُوا فِي إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا».

(النساء - ١٢٩)

لو القينا نظرة تحليلية فاحصة على تاريخ الجاهلية البشرية، قديها و معاصرها، و حاولنا أن نتفحص تركيب الشخصية الإنسانية في ظل هذه الجاهليات، بما تحمل هذه الشخصية من أفكار و ميول، و اتجاهات نفسية، و ممارسة سلوكية؛ لوجدنا الانسان الجاهلي يتخذ موقف الخصومة و اللجاجة و المعاكسة للشريعة الالهية، منساقا وراء شهواته و نزواته من جهة، و متاثرا بغزوره و كبرياته من جهة اخرى، فهو دائما يحاول الرد و التصدي، و ان كان الحق و اصحابه و العدل متباخسا، و يندفع الى الاعتراض و الاحتجاج، و ان كان هو يؤمن في قراره نفسه بصدق هذه الحقيقة، و يسلك سبيل الانحراف و الاعوجاج للتعبير عن دوافعه و اتباع رغباته، و ان كان طريق الاستقامة مشرعا امامه و موصلا لذات

* كالعلقة = يعني لا هي بالزوجة التي استوفت حقوقها، و لا هي بالطلقة التي لا زوج لها.

النتيجة.

فهو يبحث عن الحرام، ويميل إلى الشذوذ، وان وجد الحلال واكتشف الاستقامة، فهذا الصنف من الناس كما وصفه القرآن الكريم: «وَإِنْ يَرُوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوهُ سَبِيلًاً وَإِنْ يَرُوا سَبِيلَ الْفَغْيَ يَتَخَذُوهُ سَبِيلًاً...»

(الاعراف – ١٤٦)

وتنطبق هذه الحقائق على إنسان الجاهلية المادية المعاصرة تماماً، كما انطقت على سلفه وأمثاله من أمم وأفراد جاهلية سحيقة.

فهو في الوقت الذي يجد أمامه سبيل الزواج مشرعًا ووسائل التعبير الجنسي المخلل موفرة، نراه يلجأ إلى النيل من هذه الوسائل والانتهاص منها والطعن بها، في حين يلجأ إلى الممارسة الشاذة، وينحدر نحو أخلاقية رذيلة، وبدافع من هذه العوامل النفسية المريضة اندفع خصوم الإسلام، من مستشرقين، ومبشرين، واباحيين، وشنوا حملة ظالمة على الإسلام لتشويه نظمه وقوانينه وعرضها بصورة مشوهة، لتضليل الرأي العام البشري، والخلولة بينه وبين الحصول على رؤية علمية سليمة للإسلام، وعملوا على تشويه أهدافه وحقيقة.

وبالعودة إلى هذا النظام ودراسته وتحليله، نجد تشريعاً منسقاً مع طبيعة الحياة والظروف والأوضاع الاجتماعية للإنسان، فهو يعالج مختلف تقلبات وملابسات العلاقات الزوجية والجنسية بين الرجل و

المرأة في الاسرة و المجتمع ، و يعمل على مكافحة الشذوذ و الانحراف و الحرمان ، فهو يسلك كنظام احتياطي واق للرجل و المرأة من اللجوء إلى الانحراف و الشذوذ ، فثلا — و كما ذكر كثير من الباحثين — ان عدد الاناث يفوق عدد الذكور بشكل طبيعي في العالم ، و ان الحروب و الصراعات البشرية تختلف — كما حدث في الحربين العالميتين — أعداداً ضخمة من النساء يفوق عدد الرجال ، كما ان عدداً من النساء تصاب بالعقم و لا يرغب بهن أحد ، أو تصاب بعض الزوجات بحالات مرضية تعيق الزواج عن الممارسة و الاشباع ، أو تكون بعض النساء غير متكافئات من حيث الرغبات الجنسية مع أزواجهن ... فكل هذه الحالات لا يمكن ان تعالج الا ببعد الزوجات فهو العلاج السليم لمكافحة تساقط الرجال و النساء في أحضان الزنا و البغاء و الكبت و الحرمان ...

وبالفعل فالمجتمعات التي لا تؤمن بتعدد الزوجات ، و تعايش حالة من التحلل و الانهيار الاخلاقي ، كال المجتمع الاوربي و الامريكي و الروسي ... الخ ، صار فيها الزنا و البغاء أمراً اعتيادياً ، فهي عندما رفضت التعدد المشروع لجأت إلى التعدد غير المشروع ... فاختارت طريق الانحراف و الشذوذ كوسيلة لمعالجة اضطراب العلاقة و نزوات الغريزة .
تبين مما سبق ، أن الاسلام العظيم ارتفع بالمرأة ارتفاعاً شاهقاً ، و أعلى قدرها و سما عبئاتها ، بما لا يدانيه دين أو حضارة منذ أقدم العصور

حتى يومنا الحاضر...

كما اتضح ان الاسلام العظيم قد أولى اهتمامه الشديد في تنشئة الفرد تنشئة صالحة ليكون عضواً نافعاً في اسرة فاضلة متماسكة سعيدة، و تكون هذه الاسرة لبنة صلدة في بناء المجتمع الاسلامي السعيد... فليس في الاسلام اثر للافراط أو للتفريرط اللذين نشاهدهما في مبادئ الشرق والغرب، سواء في حقوق الرجل والمرأة، أو في أهمية الفرد والمجتمع، بل نشاهد في تشريعه بوضوح تام التنسيق الكامل، و التوفيق الشامل بين حقوق وواجبات الفرد والمجتمع، وكذلك الحال نجد فيه توزيعاً عادلاً و حكيمًا بين مسؤوليات وصلاحيات كل من الرجل والمرأة.

(والحمد لله رب العالمين)

«الفهرس»

الموضوع	الصفحة
كلمة المؤسسة	٥
المرأة في ظل الحضارات غير الاسلامية	٧
المرأة ووحدة النوع الانساني	٣٣
مكانة المرأة في الاسلام	٣٧
* الاسلام يكرم المرأة	٣٧
* حقوق المرأة الاجتماعية	٤٢
المرأة والاسرة	٤٥
منهج الاسلام في بناء الاسرة	٥٥
* الدعوة الى بناء الأسرة	٥٥
١ — كيف يبدأ البناء؟	٧٣
٢ — الولي وعقد الزواج	٧٨
* تنظيم الروابط الأسرية	٨٠
١ — حقوق الزوجة على زوجها	٨١
٢ — حقوق الزوج على زوجته	٨٦
٣ — حقوق الابناء على آبائهم	٩٤

٤ — حقوق الآباء على ابنائهم ٩٧	
٥ — الميراث ١٠٢	
شُهَدَات ١٠٥	
١ — حول الميراث ١٠٥	
٢ — حول تعداد الزوجات ١٠٦	
الفهرس ١١١	





مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

الرابط بديل lisanerab.com

